

مجلة

الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

مدير التحرير : حسن الشريف : تليفون ٨٥٣١٢

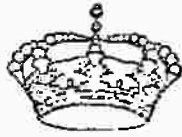
القاهرة

طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق

١٩٤٣

فهرس العدد

صفحة	
٣	رسالة الملك
٤	النشاط الاجتماعي لوزارة الشؤون
٧	أثر الصيام في الصحة للدكتور سليمان عزى باشا
١٠	مشروع مكافحة الأمية
١٣	أمثلة قريية
١٩	في صميم الريف للأستاذ سيد قطب
٢٤	الشعب والحكومة في الإصلاح للأستاذ حسن الشريف
٣٠	معركة النظافة
٣٣	من أسس العمران للأستاذ فايد العمروسي
٤٢	مسئولية الرجل قبل الزواج وبعده للكاتبه زينب محمد حسين
٤٨	في المدرسة الريفيه الأستاذ محمد عبد الكريم
٥٥	العواطف الفاسدة للأستاذ محمد أبو بكر إبراهيم
٥٩	النفاق الاجتماعي للأستاذ عيسى متولى
٦٢	نموذج لأندية المال
٦٥	تسمية العلم
٦٨	ملاحظات غابرة
٧١	نمن النهرة (فصه اجتماعية)



رسالة الملك

الى خريجي الجامعات والمعاهد

الذين نالوا شرف ضيافته الملكية

أحييكم يا شباب العلم ، يا خريجي الجامعات والمعاهد ، أحيي فئاتكم وأحيي فئاتكم .
إنني لأشعر بالغبطة تتمر نفسي إذ أراكم تحفون بعرشي ، وتحيطون تاجي بهالة
من علمكم وشبابكم . وإن عرشا ، وإن تاجا ، يخف بهما العلم والشباب ، لعرش
وتاج جديان بمصر ، مصر التي كانت ، ومصر التي ستكون .

أما مصر التي كانت فقد تولى التاريخ الكلام عنها ، والنفى بآثارها ، وأما
مصر التي ستكون فأتهم المسئولون عنها ، وأنها لأمانة في أعناقكم ، فلا تجعلوا أنشودة
التاريخ فيكم أقل روعة من أنشودته في أجدادكم .

لقد أردت بهذا الاجتماع أن تلمسوا من قرب حيي لكم ، وتقديرى للعالم
في أشخاصكم ، وأن تعيوا باسمي زملاءكم الذين تواضع بهم حظهم بقاءوا بعدكم
في ترتيب النجاح ، وأن تبلغوهم اعترازي بنجاحهم ونجاحكم ، إن كل إجازة علمية
جديدة تعد نجا ساطعا في سماء بلادى .

أتم حملة المشاعل ، وكثيرون ينتظرون الضوء الذي تحملون ليهتدوا به في طريق
الحياة ، فلا تطيلوا انتظارهم ، وانفعوا بعلمكم وانتفعوا . وليكن لكم من دينكم
ووطنيتكم ، وإيمانكم وأمانتكم ، حصانة تقيكم من الزلل .

ارفعوا المشاعل فوق الطريق ، ولا تجعلوها نارا تحرق ، بل اجعلوها نورا
يضئ . وعلى بركة الله سيروا في طريقكم ، وهذه يدي في أيديكم ، تساهم في العمل
معكم . يد قوية ، لا لأنها يد ملك ، ولا لأنها يد شاب ، ولكن لأنها يد مصرى
يؤمن بمصريته .

فلتؤمن جميعا بمصر ، فإنها كناية الله ، ولتعمل لها ، وسيرى الله أعمالنا ،
ويباركها .

قصر عابدين في ١٥ شعبان سنة ١٣٦٢ (١٦ أغسطس سنة ١٩٤٣)

النشاط الاجتماعي

لوزارة الشؤون الاجتماعية

حماية الأسرة ، إسقاط الولاية ، نهضة التعاون

تعال الأسرة في هذه الأيام من عناية وزارة الشؤون الاجتماعية ما تستحقه الدعامة الأولى في بناء المجتمع من الاهتمام . وتجه الأفكار بشدة إلى حمايتها من التحطم بسبب الطلاق الذي شرهه الدين انقضاء للضرر حين لا يكون هناك منه مفر فاستغله الكثيرون تلبية للزوات الطارئة وتحقيقا لذات المطلوبة .

وقد التقى رأى الدين مع رأى الاجتماع في اللجنة التي درست مشروع قانون الطلاق المزمع ، وفي الدين مرونة وفسحة لتلقيان مع أحكام الزمان وضرورات المجتمع في كثير من الأحيان وإن الطلاق لأبغض الحلال غند الله فالإسراف فيه مخالفة لروح الدين بلا نزاع .

ولكننا نحب أن يتجه التفكير في حماية الأسرة الى آفاق أخرى كذلك بجانب حمايتها من الطلاق . ومن أهم ما يجب حمايتها منه العوز وفقدان العائل أو عجزه عن الانفاق .

ذلك ان العوز بسبب البطالة أو بسبب قلة الأجر وفقدان العائل أو عجزه بسبب الموت أو المرض أو الشيخوخة ، كل أولئك يحطم من بنيان الأسرة ما يحطم الطلاق وزيادة . وإنه يكفي أن نعلم شيئا عن منبع المتسولين والمشردين والمفسودين والشذاذ من الغلمان والبنات لنعلم أن هذه الآفات تشترك مع الطلاق اشتراكا فعليا في تقويض بناء الأسرة وفي تهريد أطفالها وبناتها في الطرقات .

ولم تقصر وزارة الشؤون الاجتماعية في هذا ، فقد صدر الأمر العسكري برفع الأجور كما شرع قانون التأمين ضد العجز وضد الشيخوخة ، ومن قبل صدر قانون التأمين ضد إصابات العمل وهي كلها حلقات في ضمانة رزق العامل ورزق أولاده في حياته أو بعد وفاته إلى حد ما .

ولكن ينبغي أن ننبه الى أن سن التشريعات وإصدار الأوامر لا يكفيان وحدهما لتحقيق تلك التشريعات وتنفيذ هذه الأوامر . فأصحاب الأعمال ودوائر العمل لا يتقبلون بسهولة هذه التكاليف الاجتماعية التي لم يالفوها ، فلا بد إذن من الرقابة الشديدة الحازمة ، والرقابة في حاجة الى موظفين ومفتشين ، وهؤلاء فيما نعلم لا يزال عددهم قليلا جدا بالقياس الى المهمة الملقة على عاتقهم في طول البلاد .

فيجب ألا تقف الميزانية أو أى مانع آخر دون توافر العدد اللازم من هؤلاء الموظفين والمفتشين الذين ينهضون بأدق أنواع الرقابة على تنفيذ القوانين والأوامر ، وإلا بقيت حبرا على ورق وضاع التعب الذى بذل فى بحثها وصياغتها وإصدارها ليعمل بها فى الحياة العملية لا فى المضابط الرسمية .

ولقد عتينا أن نتصل ببعض مكاتب العمل فى الأقاليم ، فعلمنا منها أن الرقابة غير كافية وغير ممكنة لقلة عدد المفتشين من ناحية ، ولأن بعضهم لم يتدرب التدريب الكافى على هذا العمل من ناحية أخرى . فأما التدريب فيأتى مع الزمن وإن كان من الممكن أن يدق من أول الأمر فى الاختيار . وأما قلة العدد فهذه هى التى نوجه إليها النظر للعمل على تلأفيها بقدر الإمكان .

ومما تفكر فيه وزارة الشؤون الاجتماعية ويتصل بمسألة حماية الاسرة "إسقاط الولاية" فقد اتضح من بعض الأبحاث عن حالة الأطفال المشردين ، أن للكثيرين منهم أهلا ، وأن أهلهم يسرحونهم فى الطرقات للتسول أو جمع أعقاب السجائر أو النشل والسرقة ، أو يهملونهم فتناقطهم عصايات الأطفال وتستخدمهم هذا الاستخدام ؛ فإذا قبض البوليس على هؤلاء الأطفال جاء أهلهم فاستردوهم بحكم ما لهم من حق الولاية عليهم ، ثم أطلقوهم من جديد ليعودوا سيرتهم الأولى .

وبعض هؤلاء الأهل قد يكونون معذورين فى تصرفهم هذا بسبب الفقر الشديع الذى يضطرهم لاستغلال أولادهم هذا الاستغلال البشع ، ولكن الكثيرين منهم مجرمون أو شواذ يحتمون على أنفسهم وعلى أولادهم أشنع الجنايات .

فيجب إذن أن تفرق عند سن تشريع "إسقاط الولاية" بين هذين النوعين من الأهل فلكل منهما علاج .

فأما الفريق الأول فيجب أن نبقى له حقه فى الولاية على أولاده ، وأن نساعدته مساعدة اجتماعية من أى نوع سواء عن طريق مد أسباب الرزق الشريف له بالعمل — وهو الأفضل — أو عن طريق مده بالمساعدات المادية المنتظمة على طريقة المكاتب الاجتماعية مع العناية بتشغيل أولاده أو إعدادهم للحياة بأى شكل كان .

وأما الفريق الثانى فيجب أن ننتزع منه الأطفال الأبرياء لنعزلهم فى مكان مأمون يجردون فيه إعدادا صالحا للحياة البرينة الشريفة فى مقبل الأيام .

والمشكلة فى صميمها هى "مشكلة الطفولة المشردة" التى نجهد أنفسنا فى حلها ، ولكننا لا نسلك لها الطريق الوحيد الصحيح ، وهو طريق الإحصاء والدراسة : إحصاء

المشردين في كل مكان ، ودراسة حالة كل فريق منهم لمعرفة أسباب تشريده معرفة دقيقة صحيحة ، ثم اقتراح العلاج بعد ذلك على أساس تشخيص الداء لكل فريق منهم على السواء .

وإننا لنقرأ بين الحين والحين أن البوليس قد أصدر أمرا بتعقب الغلمان المشردين وتطهير الطرقات منهم ! ولكن إلى أين ؟ إن هؤلاء الغلمان ظاهرة من ظواهر المرض وليسوا هم منبع المرض ، وما نأتى مطاردتهم من مكان إلى مكان بأية نتيجة إذا نحن أهملنا المنابع التي يأتون منها ، وتبعنا المصعب الذي يلتهمون إليه .

فوفروا الجهد الذى يبذل في المطاردة لينفق في الإحصاء والدراسة والتصنيف ، وفي اقتراح الحلول العملية على أساس الواقع المدروس ، لا على أساس النظريات والتخمينات في أسباب التشريد وفي علاج المشردين .

وتنشط وزارة الشؤون الاجتماعية — في هذه الأيام — للاهتمام بنشر التعاون في كل مكان . ونعتقد أن هذا الرقت هو أنسب الأوقات لنجاح التعاون ، الذى ظل يصارع العوامل المثبطة في البيئة والعادة منذ خمسة وثلاثين عاما .

فحالة الغلاء الفظيع ، وجشع التجار في السوق السوداء ، وقلة السلع واختفاؤها من السوق ، كل هذه عوامل مشجعة على التعاون ، مساعدة لنموه وإقبال الناس عليه .

ولكن هناك أشياء يصح الانتباه إليها وهي مما يؤسف له حقا ، فقد علمنا عن حوادث ثبت فيها أن بعض المشتركين في جمعيات التعاون قد سمحوا لأنفسهم أن يتخذهم التجار الجشعون أداة للعبث بالغرض الأسمى من هذه الجمعيات . ذلك أنهم راحوا يشترون من الجمعيات بحكم عضويتهم ويسامون ما يشترونه للتجار الجشعين لبيعوه مرة أخرى بالأثمان المرتفعة .

وهذه جريمة في حق التعاون يجب أن تفرض عليها العقوبة الصارمة ، وأن تتخذ ضدها الاحتياطات الشديدة حتى لا تتكرر هذه الحوادث ، وحتى لا يضعف الغرض الأول من جمعيات التعاون ، وحتى لا يتعرض الناس من جديد لجشع التجار المنحطين .

وبالجريمة التهرب هذه دلالة نفسية خطيرة يجب الانتباه إليها . ذلك أن التعاون ليس عميق الأثر في النفس المصرية . وهو لهذا في حاجة إلى جهد وإلى أدب وإلى عناية ، حتى ترسخ قواعده في النفوس ، وحتى يصبح عادة ليس لها تمهيد نفسى سابق في النفس المصرية .

ولعل هذا هو السبب الذى جعل التعاون في مصر يعاني ما يعانيه مدى خمسة وثلاثين عاما وفهم الظواهر النفسية مفيد في العلاج على أساس من التشخيص الصحيح .

أثر الصيام في الصحة

لحضرة صاحب السعادة الدكتور سليمان عزمي باشا

عميد كلية الطب

فرض الصيام في كل دين . ولا يمكنني أن أصدق أنه فرض لمجرد حرمان الانسان من الأكل أو الشرب ، بل فرض لحكمة ، فأخذ المفكرون يبحثون عن هذه الحكمة ، وذهبت كل طائفة تلتق بتفسيرها ، وتدلّ ببراهينها . فلمست فيما لمست ناحيته الصحية وفوائده الطبية . وهذا موضوع حديثي .

ولها لفرضه طبية في هذا العصر الذي تقدمت فيه أبحاث علم النفس ، وفي هذه الفترة من التاريخ التي اضطرب فيها العالم واضطربت أعصاب أفرادها ، أن أذكر طرفاً يلمسه الطبيب من فوائد الصيام والتعبّد على وجه العموم . من التأثير النفساني أو الروحاني ، وما يتبع ذلك مما يشبه الإيمان الذاتي . فالصائم المتعبّد يذكره الصيام دائماً بكل ما فرضه الدين من فعل الخير وطهارة التفكير ، بقلب مخلص منغم بالإيمان للعبادة والاعتناظ ، فيرجع إلى ربه مستعيناً به ليحميه من الذنوب والخطايا ، ويسمو بتفكيره إلى التقرب من الله بفعل الخير . والابتعاد عن الشرور والآثام ، فتخلص روحه من مشاغل الدنيا فترة ما . يلهمه الله فيها العزم على السير في طريق الهداية ، ويستجيب بذلك دعوته في فاتحة الكتاب : ” اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين “ .

لذا سمي البعض الصيام رياضة الروح أو بتعبير الأطباء علاج النفس ، فهو يجمع المعدة ليسبح الروح ، ويذكر النفس ، ويسمو بها لكي لا يعلق الإنسان كل آماله على إشباع شهواته وسعادته الجسمية ، بل ليرتفع إلى ذروة الإيمان ، وتزيد ثقته بالله ، فتسعد حياته الروحية .

نرى ذلك مجسماً ومركّزاً في صيام رمضان حسبما شرع له وحسبما جرت عليه التقاليد . ففيه تلتقى الدروس الدينية والعظائم ، في المساجد والمجتمعات وفي الإذاعة الإسلامية ، بل وفي الزيارات والسهرات الخصوصية . ففي هذا الشهر نرى ثلاثة أرباع أحاديث الناس عن الصوم والتقي والتعبّد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحث على البر والخير ، واستهجان الشر والإثم والعدوان والإضرار بالناس . فيحدث جو مشبع بالإيمان والعظة والقول الطيب ، فيؤثّر في النفس ويكبح جماح النفوس الشاردة ويردها إلى حظيرة الخير والإيمان .

فيمجز الحاطنون طريق الضلالة، ويقلع المدمنون عن عاداتهم . وينسى ذوو الأمراض العصبية والأوهام أمراضهم — وفي كثير من الأحيان تكون توبة نصوحا لارجحة فيها كما شاهدت ذلك مرارا عديدة — وهنا تتجلى فضيلة انتصار المرء بمحض إرادته على الشهوات والآلام الوهمية المتسلطة عليه فقد دربه الصيام على الحرمان أو بعضه ، كما دربه على مقاومة النزعات الحاطنة والمضرة به ، فتريد قوة إرادته فتعينه على ترك ما كان فيه .

أما من أجاع الجسم ولم يمه النفس عن الهوى فليس من الصائمين .

إذا اتبع في الصوم ما ذكرنا تصبح النفس مطمئنة تفكر في مآلها بالرضاء . لارضاء المستكن الحامل البائس ضعيف الإرادة ميت العواطف ، بل رضاء النفس مطمئنة التي قال عنها سبحانه وتعالى :

« يأتها النفس مطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخل في عبادى وادخل جنى » .

إننى أحب المتدين ولكن أكره المنتزع في الدين أى المغالى في عبادته بما يحجه العقل والذوق السليم .

خذ المحموم مثلا الذى تتراوح حرارته بين ٣٩ و ٤٠ درجة والذى يحتاج للشرب على فترات فترداد إفرازاته ويخالف تعاليم الطبيب ويصوم فيلحق بصحته ضررا بالغا والله تعالى يقول : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » وهذا أمر لا يرضى عنه الرحمن الرحيم الذى كتب على نفسه الرحمة .

جاهرت مرارا بأن الصوم غير مضر بالصحة كما جاهرت بأن الطريقة التى يصوم بها أغلب الناس غير صحيحة .

فامتلاء المعدة دفعة واحدة بكمية كبيرة من الغذاء المختلف الألوان وكثرة شرب الماء مع أكل المواد الحريفة، والحراقة، والدسم، والعطارة، مضر بالصحة بلا مرأى . فمن ساء هضمه أو فسدت معدته أو اضطربت أمعائه أو كبده في رمضان ، فلا يلق الذنب جزافا على الصيام وإنما الذنب هو على طريقة الإفطار .

والصيام بهذا الشكل ليس فيه الحكمة المقصودة من الصيام بحرمان الصائم من الطعام أو بعضه . فالصوم ينل الجسم ويقوى الحالة النفسية فيعينها لكي لا تنقلب النزعات الفطرية على سلوك الإنسان في حياته وتفكيره . لذا نرى ترك العنان للصائم ليا كل كل ما يشاء في الإفطار وبأى كمية أراد، يبعدنا عن هذا الغرض، فيجب أن يشعر الصائم أنه هبط إلى مستوى الفقير في حاله الغذائية فيعرفها ليشفق عليه . فإذا ما اكتظت المائدة بألوان الطعام بعدنا عن الغرض الرئيس للصيام وفسدت صحتنا .

أنا أشير أن يكون الإفطار على كمية قليلة من السوائل والثمار، وبعد نحو ساعتين أى إلى ما بعد صلاة العشاء، يكون الغذاء الرئيسى مع الاعتدال فى كميته، ونوعه، والامتناع عن المواد الحارقة والحريفة والحادقة، وأنبه بصفة خاصة إلى أن شرب الماء بكثرة على الطعام مضر بالصائم وينير الصائم - وكثرة الشرب ما هى إلا مجرد عادة، لا ضرورة، ومع ضررها الزائد فهى للأسف منتشرة جدا بين كل الطبقات. ويجب أن يقتصر السحور على أشياء بسيطة. بهذا يستفيد الصائم ويتخلص الجسم فى فترة النهار من كثير من السموم الغذائية المتراكمة فيه فتصح الأبدان ويفهم معنى الحديث الشريف "صوموا تصحوا وتغنموا". مما لاشك فيه أن الأيام الأولى للصوم متعبة للصائم وبعدها يعود الجسم على الجوع فى بضعة أيام، إذ تتدرب أعضاء الجسم المختلفة، وتتكيف فى القيام بوظائفها فى ظروف الصيام.

إن الوم من الجوع والعطش أكثر تأثيرا على نفسية الصائم من الحقيقة. أذكر فى هذ المناسبة أننا فى مصر نشكو من سوء التغذية، وسببها عند الأغنياء يرجع إلى زيادتها، وعند الفقراء إلى نقصها المعيب.

فليفرض الأغنياء أن هذا هو شهر حمية وزهد ويعتدلو فى ماكلهم لينملحو ما أفسدته زيادة التغذية فى صحتهم.

وأما الصوم الذى يصفه الأطباء فهو نوع من أنواع الحمية القاسية حسبما تتطلبه أصول العلاج، قصد بها صحة الأجسام، فللجسم فيها الاعتبار الأول. وأما الصيام فى الأديان فللروح فيه أهمية عظيمة. ومما لاشك فيه أن الإنسان الذى تعود الصيام فى صحته يتحمل برضاء وطيب نفس أى ضرب من ضروب الحمية إذا ما مرض. وهذه ناحية من نواحي تدريب النفس على الجوع والعطش لى يتعلمها الإنسان إذا ما أرغته الظروف.

هنالك فائدة للعصبيين المشغولين دائما بأهوائهم وبأجسامهم، فإنهم بالصيام يتعودون على سيان الجسم، ويتدربون على ترك الأهوام، فتسمو نفوسهم ويتغلب اهتمامهم بروحهم على اهتمامهم بأجسامهم وتذب فيهم روح الإيمان والثقة بالنفس وحب الحياة.

فليكن شهر رمضان شهر زهد وتعبد، وبر بالفقراء والبائسين، وحصون للعدة واللسان والقلب وتطهير للجسد والروح.

وهكذا يدور الفلك دورته، وتعود الأيام للعبارة والاتعاظ وتجديد العهد - فذكر إن نفعت الذكرى.

مشروع مكافحة الأمية

من وحي الديمقراطية الحقيقية

أرسل معالي وزير الشؤون الاجتماعية صيخته المدوية لمكافحة الأمية في الأوساط الشعبية ، ثم انتهى بالفكرة الى أيداد خيرة مجربة تفحص عنها وتقلبها على وجوهها ، وتحياتها مشروعا عمليا قابلا للتنفيذ ، بعد أن كانت نداء وجدانيا في عالم النظريات .

هذا المشروع من إيماء الديمقراطية الصميمة ولا شك ، فإنه ليعصب تصور الديمقراطية في العصر الحديث مقتنة بالأمية والجهل ، فالديمقراطية في صميمها من الناحية السياسية معناها إشراف الشعب على توجيه السياسة العامة واختيار ممثليه في البرلمان على أساس القيام بهذا التوجيه ، ولن يستطيع شعب أمي جاهل أن يحسن اختيار ممثليه كما أنه لا يستطيع القيام بتوجيه السياسة العامة لعدم إلمامه بالسياسة العامة .

فإذا اتجهت همة وزير الشؤون الاجتماعية الى القضاء على هذه الأمية ، فهذا معناه تحقيق المعنى الأول للديمقراطية السياسية ، وتمكين أسس هذه الديمقراطية في البلاد ، وذلك ولا شك عمل من الأعمال العظيمة وحين يتم ستشعر البلاد بقيمتها العملية أكثر مما تحس بها الآن في عالم النظريات .

ثم ننظر الى المسألة من ناحية الديمقراطية الاجتماعية فزرى أنه يصعب كذلك تصور هذه الديمقراطية في العصر الحديث مقتنة بالجهل والأيمية . فالديمقراطية في صميمها من الناحية الاجتماعية ، معناها إتاحة فرص العمل والنجاح في الحياة للجميع . ولن يقول أحد إن هذا الرجل الأمي الجاهل تتاح له الفرص للعمل والنجاح في الحياة كما تتاح لسواه .

وستبقى الديمقراطية الاجتماعية إذن ديمقراطية نظرية ، حتى يتحقق هذا المشروع العظيم الذي يزود الملايين بشيء من أسلحة العلم الضروري ، يكافحون به في الحياة ، ويحاولون أن ينجحوا في هذا الكفاح بفضل هذا السلاح .

والديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية لا تتحققان الا بديمقراطية اقتصادية والتعليم يهد لهذه الديمقراطية الأخيرة خير تمهيد ، ذلك أنه يزيد مقدرة الأفراد على الكسب وإنماء الثروة الى حد معقول ، فهو من هذه الناحية تكلمة لمعنى آخر من معاني الديمقراطية لا تتحقق بدونه في عالم الواقع العملي المحسوس .

لمثل هذه المعانى نصف مشروع مكافحة الأمية الشعبية بأنه مشروع عظيم ، ولكنه يحل معانى أخرى ويحقق أهدافا شتى ، شخصية لهؤلاء الأميين ، وقومية لهذه البلاد .

فأما الأهداف الشخصية — عدا ما ذكر من إتاحة فرص النجاح والمقدرة على الكسب — فإننا نذكر منها مكافحة أسباب المرض ، والذين زاروا الريف أو عاشوا فيه يدركون أن كثيرا من أسباب المرض يرجع إلى الجهل بوسائل الوقاية وبضرورة العلاج في وقته ، وإذا كان الفقر هو الذى يعوق الكثيرين عن هذه وتلك فإن الجهل يعاونه ، وقد يقعد بالقادرين أيضا ويعوقهم عن الأخذ بوسائل العلاج .

ونذكر كذلك من هذه الأهداف رقى الزراعة والصناعة . فاليد الجاهلة لا تحسن القيام بالعمل كما تحسنه اليد المثقفة ، والفرصة أمام المتعلمين واسعة للتجديد والاقتباس ، وأعلى الأقل للانتفاع بالنصح والإرشاد ، بعكس الأميين الذين قد يضرون فلاحتهم وزراعتهم بإهمالهم لكل نصح وإرشاد .

وأما الأهداف القومية فنجدها واضحة في هذا المشروع العظيم إذا فهمنا أن كل نجاح شخصي في عالم الزراعة أو الصناعة هو نجاح قومي لا شك فيه وزيادة للثروة القومية لا شك فيها . ولكنها نجدها أوضح وأظهر حين ننظر إلى المستقبل ، فنراه قائما على الكفاح الاقتصادي في العالم ، هذا الكفاح الذى يحتاج إلى تجميع القوى الشعبية كلها في الميدان وفي مقدمتها العلم والصحة .

كل أمة مريضة أو جاهلة لن تنفوز في هذا الصراع العالمى الجبار . والمتنظر أن تصبح مصر ميدانا للاستقلال الاقتصادي الهائل ، فيجب أن يستعد شعب مصر للمساهمة في هذا الاستقلال والانتفاع به إلى أقصى حدود الانتفاع . ولن يكون مستعدا إلا إذا كان متعلما سليم البنية ، بجميع المشروعات التى ترمى إلى تحقيق هذين الغرضين ترمى في الوقت ذاته إلى تحقيق الرخاء القومى والسيادة الاقتصادية في مقبل الأيام .



وقد حاول بعض من كتبوا عن هذا المشروع في الصحف اليومية والأسبوعية أن يوجهوا تنفيذ المشروع توجيها نظريا نخشى أن يكون هو الأساس الذى يبنى عليه التنفيذ . ففى فورة الحماسة للمشروع — والمشروع يثير الحماسة حقا — راحوا يشيرون بما يصططيه المتطوعون من جهود في هذا السبيل وضربوا الأمثلة بمصطفى كمال الذى كان يعلم الناس في الشوارع والطرقات .

وهذه حماسة جميلة ، ولكننا لا نتردد في الخوف منها على المشروع . ونحن نسلم بوجود التطوع العام لهذه الفكرة القومية الجليلة ، ولكن التجربة القاسية علمتنا ألا نركن إلى التطوع في هذا الطور من حياتنا ، ومواجهة الحقيقة الأليمة خير من الاسترسال مع الأمل اللذيذ .

يجب إذن أن يقوم المشروع على أساس عمل آخر غير التطوع ، حتى ولو وصل الأمر إلى التجنيد العام ، تجنيد المتعلمين في كل قرية وكل حي للمساهمة في المشروع .

والذي نراه أقرب إلى حقائق الأشياء أن يكلف بهذا الأمر المعلمون والزاميون فتكون المدرسة نهارا للصغار وليلا لل كبار في مقابل زيادة طفيفة في رواتب المدرسين . ونصف مليون من الجنيهات في العام ليس كثيرا على هذا المشروع العظيم .

ثم ينبغي ألا تلهينا الحماسة للمشروع عن النظر إلى الممكن وغير الممكن في البيئة المصرية المحوطة بظروف اقتصادية واجتماعية خاصة .

فكثيرا ما يكون المانع من التعلم مانعا اقتصاديا بحثنا مع رغبة الريفيين فيه كما يحدث غالبا لتلاميذ المدارس الالزامية الذين يتغيبون عن المدرسة لحاجة أهلهم إليهم في كسب العيش والحصول على لقمة الخبز ، ثم يتعرضون للعقوبات التي ينص عليها قانون الالزام . فهذه ناحية يجب الالتفات إليها عند التفكير في إزالة الأمية أى تعليم الكبار الذين تجاوزوا سن الالزام ، والذين تزيد اعباءهم المادية كثيرا على أعباء الأطفال الصغار ، وتزيد مشاغلهم اليومية تبعا لهذه الأعباء .

وملاحظة ظروف هؤلاء الناس كفيلا بالاعتراض خطتنا لتعليمهم مع أعبائهم وظروفهم ..

وعلى أية حال فهذه إشارة إلى الطريق لا اقتراح كامل للتنفيذ ، أردنا بها فقط ألا ننساق مع الحماسة الوقفية في مثل هذا المشروعات القومية . والمشروع في يد اللجنة ونحن ننتظر على يديها الخير إن شاء الله .

أمثلة قريبة

من منابع الثروة المهملة

مدينة حلوان - وادي حوف - غابة المقطم

كلمة عامة :

نحن دائبو الشكوى من الفقر، ومن تأثيره في حياتنا الاجتماعية والصحية، وقد تضائل متوسط الدخل الفردى حتى هبط إلى نحو تسعة جنيهات في العام ، وهو مستوى شديد الانخفاض حتى بالقياس الى أفقر الشعوب .

ولكن مصر - في الحقيقة - ليست فقيرة إلى هذا الحد ، فهناك موارد كثيرة للاستغلال ، ومنابع كبيرة للثروة ، لو أنها استخدمت لغيرت هذه الحال ، وولفت مستوى الثروة القومية ، ومستوى الدخل الفردى تبعاً لذلك .

ولقد تحدثنا في أعداد سابقة عن بعض المنابع الضخمة للثروة المصرية ، وعن الطرق المؤدية لاستغلالها، وعن المبالغ الكبيرة اللازمة لها، وعن الوسائل التي يمكن أن تجمع بها هذه المبالغ ، ولوفقت هذه المشروعات أو بعضها لانتقلت مصر من حال إلى حال . وهذه المشروعات هي إصلاح جميع الأراضي القابلة للاستصلاح ومساحتها نحو ثلاثة ملايين من الأفدنة، وكهربة خزان اسوان، واستخراج المعادن المختلفة، وقيام الصناعات الزراعية... الخ. وهي تتطلب حوالى مائتى مليون من الجنيهات .

وقد يبدو أن المشروعات الاقتصادية كلها بهذه الضخامة ، وفي حاجة الى هذه المقادير الكبيرة من النقود التي يتعذر جمعها . فيجب أن نقول اليوم : إن هناك بجوار هذه المشروعات الهائلة مشروعات أخرى قريبة المتناول وقليلة النفقات ، واستغلالها مريح لا شك فيه .

وليست المنابع التي وردت في عنوان هذا المقال إلا أمثلة لهذه المشروعات الصغيرة القريبة، التي يمكن القيام بها في سهولة ويسر بين آن وأن . وسنحدث هنا ببعض الإسهاب عن كل مشروع من هذه المشروعات الثلاثة ، ثم نتبعها في الأعداد التالية بأمثلة أخرى من منابع الثروة المهملة في البلاد .

١ — مدينة حلوان

مصر بلد من بلاد السياحة الشتوية ، والسياحة وحدها مورد كبير من موارد الرزق لعدد كبير من السكان ، ولكن هذا المورد غير معني به العناية الكافية في مصر . وعلى كل حال فليس هذا موضوعنا ، ولكننا نلمسه فقط من بعيد بمناسبة الحديث عن مدينة حلوان وهي من المدن التي يقصدها كثير من السياح في كل عام ، فيجدون أن كل شيء فيها من صنع الطبيعة حسن ، ولكن يد الانسان قد تركته للإهمال !

لو كانت حلوان هذه في أى بلد من بلاد العالم لجعلها مدينة الذهب ، فلم يجتمع لبلد من بلاد العالم ما اجتمع لمان طيب المناخ ودفع الجو والمياه المعدنية على اختلافها ، ولم تهمل مدينة من مدن الاستشفاء في العالم مثلما أهملت حلوان !

ومن النواذر التي سمعناها قصة أحد باشواتنا الذي ذهب الى النمسا ليستشفى من مرض روماتزمي عند أحد أطبائها المشهورين ، فلما علم الطبيب أنه مصرى أخذته الدهشة وتملكه العجب ، من أن يحضر مثل هذا " ... باشا " للاستشفاء في النمسا وهو من مصر وبها حلوان الحمامات !

والحديث عن مزايا حلوان كمدينة من مدن الاستشفاء ومشتى من أحسن المشتات ، حديث مكرر معاد ولكنا نقول : إن لهذه المدينة ميزة أخرى في موقعها ومنظرها ، فهي مدينة جبلية صحراوية في واد مخضر ، وهذا يجعل لها من وجهة الجمال قيمة أخرى ، ويجعلها مرتادا لطلاب المناظر الجميلة ممن يتقل عليهم تشابه الوادى والحضرة والسهولة والامتداد

وندع هذا لنذكر كلمة مختصرة عن عيون حلوان ، لنذكر مدى الإهمال العجيب للموارد القومية والاسراف بل السفه الذي كنا نبعث به هذه الموارد في الماضي القريب

كان المعروف لجبل الحاضر — الى ما قبل أربع سنوات — أن عيون حلوان هي عيون كبريتية تشفى من الأمراض الجلدية والروماتيزمية ، وهي التي تقوم عليها الحمامات الشهيرة .

ومنذ أربعة أعوام نبعت عين جديدة تركناها مهملة لبضعة أيام ، ثم حاول بعض المجرمين أن يطمسها فتغلبت على ارادتهم المجرمة وقذفت بالأحجار والأسمنت الذي طمسوها به وتفتجرت من جديد ، وهلل الجمهور لانتصار النبع الطبيعي على ارادة المجرمين ، فالتفتنا الى هذا النبع وأخذنا في تنظيمه بعد الإهمال . وهو نبع ملحي كتب بعض الأطباء عن فوائده التي سنذكرها بعد .

ويقع في أيدينا كتيب قديم مهمل ردىء الطبع من تلك الكتب المجهولة التي تباع على عربات اليد في مجاهل القاهرة عنوانه : "وضوح البرهان في فضائل ومزاي حلوان" تأليف "أحمد عبد العزيز مدرس الطبيعة الكيميائية والتاريخ الطبي والحكمة العملية" مدرسة دار العلوم "مطبوع بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣١١ هجرية الموافق سنة ١٨٩٤ ميلادية" فنعلم أن هذه "العين الجديدة" ليست جديدة ، وإنما كانت معروفة في سنة ١٨٩٤ أى منذ نصف قرن ، وكانت هناك عين ثالثة لا وجود لها الآن ! وإلى القراء نبذ مما ورد عن عيون حلوان في هذا الكتاب .

"يوجد بحلوان عدة ينابيع يخرج منها مياه معدنية متحملة بجواهر مختلفة ، ومياهها على ثلاثة أنواع ، كل منها يخرج من ينابيع مخصوصة ، وهى المياه الكبريتية ، والمياه الحديدية ، والمياه الملحية "

وقد حدد موضع كل عين من العيون الثلاث ، فأما العين الكبريتية فهى في مكانها المقامة عليه الحمامات ، وأما المياه الملحية فحدد مكانها بأنه على "بعد ألفى متر بحرى المدينة بجوار شريط السكة الحديدية " وهو نفس المكان الذى نبعت فيه العين " الجديدة " كما نسميها الآن ، وأما المياه الحديدية فقال : يوجد ينبوعان في الجهة البحرية الغربية للمدينة على بعد ٤٠٠ الى ٥٠٠ متر من السراى الخديوية " وهى غير معروفة الآن ! .

وورد في هذا الكتيب عن طبيعة هذه العيون وفوائدها ما أذكر هنا بعضه . جاء عن المياه الكبريتية : أن هذا النوع يحتوى على حمض الكبريت بكثرة وهو الذى يعطيهما الرائحة المخصوصة ... ويؤخذ من رسالة الدكتور حسن باشا محمود وغيره أنها تستعمل في الأمراض الجلدية كالحمية والصدفية والقوب المزمن وحب الشباب والجذام والبرص والجرب وداء القمل والقراخ . وفي الأمراض الخنازيرية بأنواعها كالعقد وأورام العظام والأمراض الأفرنجية ، والأمراض الروماتزية كوجع المفاصل والركب والروماتزم العضلى ، وأمراض الصدر كالنزلات والسعال المزمن وداء الربو غير المصحوب بأفة في القلب ، والاحتقانات كاحتقان الكبد والطحال والكلى ، وأمراض الجهاز التناسلى البولى كاحتقان الخصية عند الرجال وعدم الحمل عن أمراض الرحم عند النساء ، وفي الشلل والقابج وشلل الحس والحركة وكساح الأطفال ، وبعض الأمراض العنقية كعرق النسا ، والضعف وفقر الدم غير المتعلقين بمرض القلب .

وجاء عن المياه الحديدية : أن هذا النوع يحتوى على الحديد وعلى حمض الكربون (الغاز
المتوارى في المياه الغازية) ويستعمل في فقر الدم وطعمه مقبول يسهل الهضم كماء كارلسباد
ويستعمل في أمراض المسالك البولية وأمراض الكبد . وقد ذكر مؤلف الكتاب أن الذى
اكتشف هذه العين هو خديو مصر السابق (توفيق) . ومع ذلك فلا يعرف أحد الآن مقرها !
أما المياه الملحية (العين الجديدة) فقد جاء عنها : إن ماءها ملحي محتو على كبريتات
وكلورورات وكربونات وهو مسهل ويشبه في الطعم لماء (راكوكسى) ويستعمل في أمراض
الجهاز الهضمى كالنزلات المعدية والمغرية والإمساك المستمر وضعف الهضم ، وأمراض
الكبد والطحال ، واحتقانات المخ ، وأمراض القلب .

وحينما عاد هذا النبع للظهور في أبريل سنة ١٩٣٩ قدم عنه الدكتور "كلوفيس موصلى"
عضو الجمعية الفرنسية للبحرارة بباريس وكبير أطباء قسم الولادة بجمعية الاسعاف تقريراً جاء فيه :
" بعد عدة أبحاث تبين أن هذه العين هى دين حارة معدنية ، واتضح من تحليل مياهها
أنها خالية من الميكروبات على اختلاف أنواعها ، وبذلك تكون صالحة للشرب ، ونظراً لخلوها
من الميكروبات وانعدام سميتها ، فإن مياه هذا ينبوع التى يتدفق منها نحو ألف متر مكعب
كل ٢٤ ساعة مفيدة جداً ، ويمكن الانتفاع بها كمورد إضافي لمياه النيل خلال الفيضان ،
أو حتى على طول السنة .

" ولقد أثبت الدكتور " أندريه تاجر " فى أبحاثه التى قام بها تحت إشراف حضرة
صاحب السعادة الدكتور سليمان عزمى باشا ، والتى نشرت فى مجلة الجمعية الطبية الملكية
عدد شهر نوفمبر سنة ١٩٣٩ أن التجارب الإكلينيكية ، قد أسفوت عن أن مياه هذه العين
ذات فائدة فى علاج أمراض القناة الهضمية وأمراض الكبد ، وقد أفادت فى القضاء على
لبوينا فى الدم والبول ، وقد تبين أنها صحية وعلاجية بغض النظر عن ارتفاع نسبة كلورور
لصوديوم . ولكن لا ينصح باستعمال هذه المياه للصباين بالكلية بالنسبة لمشمولها من كلورور
لصوديوم (٢,٥ فى الألف) .

فهذه ثروة من العيون المعدنية وحدها فى حلوان يمكن استغلالها فى نطاق واسع ، لا على
لنحو الضيق الذى تستخدم به العيون الكبريتية وحدها . والذين زاروا مدن الحمامات
فى أوروبا يذكرون الفارق الكبير بين المنشآت والترتبات المتخذة للانتفاع بهذه الحمامات
منا وهناك ، ويذكرون أن نظام الحمامات والترتبات الصحية المتخذة هناك ، وتسهيل طرق
لوصول إليها ، وإحاطتها بوسائل التسلية بجانب وسائل العلاج . . . كل أولئك يجب
لسائحين والمستشفين ، ويضاعف ما يعود على السكان الأصليين من الفائدة ، وعلى الدولة
من المنفعة .

فإذا نحن اهتدينا إلى العيون الحديدية وأضئنا إليها العيون الماحية التي كشفت حديثا ، وأحسننا استغلالها في الزجاجات المعبأة على نحو مياه فيشى وكارلسباد ، وأنشأنا الحمامات للسباحة ويجوارها الفنادق والمتنزهات ووسائل التسلية ، ضاعف هذا كله من عدد الرؤاد ومن فائدة الاستغلال .

ولكن هذا كله لا يتحقق ومدينة حلوان الثمينة مهمة هذا الإهمال في طريقها الحديدى وفى أفاريزها الرملية وفى خلوها من جميع وسائل اللهو والرياضة فيما عدا "حديقة اليابان" .
واعلم من المضحك أن تنشر الأهرام فى النبذ التى كانت تكتبها بعنوان " منذ خمسين سنة " أن هناك مشروعا لكهربية خط حلوان ، ثم تنشر فى هذه الأيام أن هناك مشروعا لكهربية خط حلوان أيضا !

وسيدون كهربية هذا الخط « طلسم » مسحور لا يفك سحره ؛ ويهمس الكثيرون بأساطير شتى عن هذا الطلسم ؛ وينتظر الكثيرون ذلك الساحر الموعود الذى يفكه ، والذى لا تجود به الأيام ، لأن هناك من يهمل أن يبقى هذا الطلسم كما كان !

٢ - وادى خوف

وادى خوف منبع آخر من منابع الثروة المهمة . ويقع هذا الوادى الى الشمال الشرقى من مدينة حلوان فى قلب الصحراء وهو واد جميل يعرفه من يقوم ببعض الرحلات المدرسية وغير المدرسية ؛ ولكنه مابق هناك فى الصحراء ، وحش مقفر ، لا يطرقه الناس إلا فى بعض الرحلات .

والمشروع الذى نقترحه لهذا الوادى أن تقام فيه « استراحة » مثل استراحة « شل » فى الطريق بين القاهرة والإسكندرية يأوى إليها طلاب التزهات الخلوية فى عصارى أيام الصيف ولياليه المقمرة ، وطلاب الرحلات الشمسية فى الشتاء .

ومما لا شك فيه أن هذه الاستراحة ستجد الرواد الكثيرين الذين يمرون سراجا أو يترشون بعض الأيام والليالى وستكون مكانا مرغوبا فيه لندرتة وندره أمثاله فى مصر ذات الأضحيان المشمسة والأمسيات المقمرة الضائعة كالهباء بسبب الإهمال .

ومما يذكر هنا أن هذا الوادى يقع مقابلا للينبوع الحديد فى حلوان فيمكن أن تمد الاستراحة هنا بمياه النبع فى أنابيب وبذلك يتحقق لرواده غرضان : غرض التزعة وغرض تناول هذه المياه المعدنية المفيدة . ويمكن الشركة التى تعهدت باستغلال العين الجديدة ، أن تقوم هى نفسها بمشروع استراحة وادى خوف .

وسيعود على الحركة التجارية والعمرانية في مدينة حلوان بالرواج ، فما بال اتحاد الملاك في حلوان لا يفكر في مثل هذه المشروعات المفيدة الراجحة ؟ أغلب الظن أن الملاك هنا قد يئسوا من كل إصلاح للدينة ، لأن الطامس لا يحل ولا يجد الحلال .

٣ - غابة المقطم

قيل في وقت من الأوقات وكان ذلك قبل الحرب بأعوام إن هنالك مشروعا لإنشاء غابة من الأشجار على حدود القاهرة في سفح المقطم ثم نام المشروع كمعظم المشروعات النافعة التي لا ينقضا الانتباه لها ولكن تنقصنا المهمة لتنفيذها .

وهذا المشروع ذو قيمة استغلالية وقيمة صحية وقيمة رياضية وفنية . فاما من ناحية الاستغلال فما نعانیه اليوم من أزمة الأخشاب ومواد الوقود عامة كفيل بأن يفتح أعيننا على ضرورة مثل هذا المشروع وعلى فائدته الاستغلالية العظيمة . وحسبنا أن نشير الى أن صناعات غرس الأشجار وقطعها وإعدادها واستخدامها ، كان يمكن أن تستغل عددا كبيرا من الأيدي ومن رؤوس الأموال ، فضلا على الربح المادى والاقتصادى في حياة البلاد .

وأما من الناحية الصحية ، فحسبنا أن نقول إن القاهرة من أقدر العواصم بسبب الرمال التي تذررها الرياح عليها من الصحراء ، هذه الرمال التي تسبب مع القذارة العامة أمراض العيون بنسبة عظيمة . وإقامة مثل هذه الغابة على حدود المدينة كفيلة بمنع هذه الرمال عنها ، فضلا على تلطيف جوها القارى في فصل الصيف بحجب موجات الحر اللاطفة التي تهب عليها من الصحراء الشرقية .

وأما من الناحية الرياضية والفنية ، فإن وجود هذه الغابة يجعلها مرئادا للمتتردين وطلاب الصيد الخفيف ويوجد منظرا جميلا تقع عليه العين ويرتاده الخيال . وليس هذا بالقليل في حساب الأهم التي تدرك معنى الرياضة ومعنى الجمال .

إن امثال هذه المشروعات يبدو صغيرا . ولكن مائة منها تحدث تغييرا جوهريا في حياة البلاد وفي ثروتها وفي صحتها وفي ذوقها وفي فنها . وليس هذا كله بالأمر السافه ولا بالرجح القليل .

في صميم الريف جاذبية الأرض - عمق التقاليد - منطق البيئة بقلم الأستاذ سيد قطب

اعتدنا أن نفكر في الإصلاح الاجتماعي ، وأن نقترح المشروعات الاجتماعية ، ونحن مطمئنون على مكاتبنا في القاهرة ، وكل ما نعتمد عليه في التفكير وفي الاقتراح هو النظريات الاجتماعية التي نقرؤها في الكتب والصحف ، وهو الملاحظات التي تعن لنا عن حالة الطبقات المختلفة في العاصمة ، ثم هو بعد هذا وذلك ذكريات غامضة عن الريف ، أو ملاحظات عابرة عن تلقاهم في الحين بعد الحين من أهل الريف .

والآن - وقد عنت لي جولة في هذا الريف - أحس إن كل ما نفكر فيه ونحن في مكاتبنا بالقاهرة ، إنما هو عبث في عبث ، بل سنخف في سنخف ، وأن الريف الذي نريد إصلاحه ونزعم معرفتنا بما ينقصه من ضروب الإصلاح ونقترح له المشروعات المختلفة ، هذا الريف بعيد عنا ونحن بعيدون عنه ، لا يفهم أفكارنا ولا تفهم أفكاره ، وإنه لينظر إلى مشروعاتنا واقتراحاتنا نظرة الاستغراب والتعجب المصحوبين بالسخرية لأننا لا نعرف شيئا حقيقيا عنه :

وأريد أن أطلقها صبيحة مدوية يهتر لها من يشاء ويتندر بها من يشاء : نحن في القاهرة غرباء ، غرباء عن مصر . نحن أجنب عن حقيقة هذه البلاد ، أجنب عن صميم هذا الوطن . نحن نختلس الجنسية المصرية اختلاسا ونروح ندعى أننا مصريون بينما الصلة منقطعة بيننا وبين مصر . . . مصر التي هي هنالك في صميم الريف ، مضر الخالدة في ضمير الزمن ، مصر الحقيقية ، لا مصر المصطنعة الشائنة المزيفة التي في القاهرة .

فإذا كنا جادين في ادعائنا أننا نريد للريف الخير ، ونفكره في الإصلاح ، فلنعرف الطريق أولا إلى ضمير هذا الريف ، ولنعرف أولا إلى قلبه ، ولن ننال ذلك ونحن جالسون في مكاتبنا المريحة بالقاهرة ، ولن نصنعه ونحن نتنفس في جو القاهرة ، ونحن نحيا هذه الحياة الصناعية المزينة الغربية على النفس المصرية ، وعلى الطبيعة المصرية ، وعلى البيئة المصرية .

الريف هنالك في الريف ! ومصر أيضا هنالك ، والمجتمع المصري الذي نحاول علاجه ، والأمراض الاجتماعية التي نطلب لها ، ... كل أولئك بعيد عنا ونحن بعيدون عنه ، وكل مشروعاتنا ونحن بعيدون هي مشروعات مستعارة ، كالوجوه التنكرية ، وبينها وبين الواقع فرق ما بين الوجه التنكري والوجه الطبيعي !

تعالوا أيها المصلحون الاجتماعيون هنا إلى الريف. عيشوا أيها المشرعون الاجتماعيون هنا في مصر. ولا تأتوا — إذا جئتم — بعقلية القاهرة ، ونفسية القاهرة ، فإن الريف لن يفهمكم إذن ولن تفهموه ، ولكن تعالوا إلى هنا لتندمجوا في البيئة ، ولتكابدوا مشقاتها ، وتفكروا تفكيراً . ثم بعد ذلك كله — لا قبله — ضموا المشروعات لإصلاح الريف على أساس الواقع لا على أساس التقليد .

(١)

ها هي ذى عربة الديزل تقطع الطريق من القاهرة إلى أسيوط ، ثم ها هو ذا القطار يطوى الأرض إلى سوهاج... ها هو ذا الوادى الخالد يتسع تارة ويفيق ، ولكنه هو هو الوادى الأخضر الوديع المنساب كالنغمة الحلوة من الناي العميق !

وها هو ذا الغروب الرائع ، وها هو ذا منظر الرواح . فالريفي وبهائمه وماشيته يؤلفون "موكب الرواح" من الحقول . ذلك الموكب الذى ألفه الوادى منذ مئات الأجيال . إنه هو هو لم يتغير ولم يتبدل منذ آلاف السنين .

أيها الوادى . إنك لساحر . أيها الأرض إن لك لجاذبية ، وإن هذا الفلاح لمشدود إليك منذ الأزل ، وإنه لن يتخلص من هذا الوثاق ، فإذا شاء المصلحون الاجتماعيون وإذا شاء المشرعون الاقتصاديون أن يفكروا فى طرق الإصلاح وفى وسائل الرخاء ، فليبنوها على أساس هذه الجاذبية .

نقد لقبنى الكثيرون ممن يحبوننى من أهل الريف فكانت أقصى أمنيتهم لى أن يكون لى زرع وجرن ومخصول... إن هذه الأمنية الساذجة لتصور مدى اعتزاز هؤلاء الناس بالأرض ، ومدى سحر الأرض وجاذبيتها لهم . إنهم لا يتصورون أمنية أسعد ولا أكبر من الزرع والقلع ! إنهم مخلصون للوادى ، متفاهمون مع الطبيعة... إنهم مصريون !

وإنه ليجب أن تلفت إلى هذا عند المفاضلة بين المشروعات الاقتصادية والعمرانية يجب أن تكون المشروعات المتعلقة بالأرض والزراعة هى أول ما تفكر فيه لأنه يتفق مع هذا الحب الخالد للوادى ، ومع هذه الجاذبية العميقة للأرض .

إن هذا الفلاح الريفي لن يهجر الأرض الحبيبة إلى أى عمل آخر إلا حين تنبذه هذه الأرض ولا تعود تعوله وتقوته ، وإنه ليتركها حينئذ مرغماً وهو يحن إليها مهما اشتغل بالصناعة والتجارة . وإنه ليعود إليها عند أول فرصة فيجيب إذن أن نلبي رغبته وحبه بأن نحاول استصلاح أكبر مساحة نستطيع أن نستصلحها من أرض الوادى ، وأن تكون المشروعات النيلية لتوفير المياه لهذا الاستصلاح فى مقدمة المشروعات. فأما إذا أردنا الصناعة فلنقدم الصناعات الزراعية على كل صناعة أخرى ، فإنها ترتكز إلى أساسين ، وإلى حب دفين ، فى نفوس المصريين .

والماشية ! إنها قرينة الأرض في الجاذبية وعديلتها في المحبة . إن جاموسة الفلاح وبقرته وجله وغنمه هم أحصدقاؤه . نعم وأعبر عنهم بضمير العاقل (هم) فإن الفلاح يعاملهم معاملة الأصدقاء والعقلاء ، ويحس لهم في نفسه ما يحس للأهل والأبناء .

فيجب إذن أن يكون لهذه الظاهرة أثرها في مشروعاتنا . يجب أن نعهد لهذا الريفي اقتناء أحسن السلالات رويدا رويدا ، وأن نلقيحها ضد الأمراض مجانا ، وأن نسرّع بقانون التأمين على الماشية ، فإن هذا التأمين لما هو تأمين لحياة الفلاح كلها ، وحين يعرف هذا الفلاح أن بقرته أو جلته أو جاموسه مضمونة الحياة أو الثمن سيشتري بالاطمئنان على حياته وحياة أبنائه ، وعلى رزقه ورزق عياله ، ولن يذبح البهيمة المريضة ويبيع لحمها الموبوء فينشر الأمراض بين الادميين ، فإنه إنما يصنع هذا لأن بهيمته رأس ماله ، فليقتد منه ما يستطيع اقتاذه !

ويطول بنا الحديث حين نمضي في استعراض المشروعات التي يمكن تقديمها والعناية بها على أساس المعرفة بجاذبية الأرض في الريف ، فلنخصه في كلمتين اثنتين : الزراعة والصناعات الزراعية وما يتعلق بهما من مشروعات .

(٢)

ونحن سكان القاهرة — نجيل إلينا في بعض لحظات الحق والغرور — أننا نملك تغيير ما لا نحب من عادات مصر وتقاليدها ، بحملة صحفية ، أو إذاعة لاسلكية ... !
ألا ما أشد غرورنا نحن القاهريين ! إن التقاليد المصرية لأعمق من أن تؤثر فيها هذه الصيحات التي تذهب في الهواء . إن مصر الحقيقية هي هذا الريف المتماك القوى المؤمن بتقاليده إيمانه بالدين !

وإننا لنغيب عن هذا الريف الخالد بضع سنوات فيخيل إلينا أن الزمن صنع هناك شيئا وأننا سنعود إلى الريف فنجد قد تغير كثيرا أو قليلا . ثم نعود ... فإذا الريف هو الريف : هادئ مطمئن ، مخلص إلى عقائده وتقاليده ، مؤمن بعاداته وشرائعه ، فإذا نحن حاولنا أن نعيش هناك بعقلية القاهرة ، وأن نمامله بتقاليد القاهرة ، نظر إلينا في عجب رقيق وسخرية خفيفة ، ومضى في طريقه هادئا مطمئنا ، فما نلبث نحن أن نتخاذل ، وأن نتضاعل ، وأن تنطوي قاهریتنا ويتبخر غرورنا ، ونعود نحن أيضا لتقاليد الريف ولأحكام الريف !
وقل ما أقول عن ضرر هذه الحالة وعن أثرها في تأخرنا وجهودنا ، وعن وعن . . فإن هذا كله إن يغير من الواقع شيئا ، ولن يزعج الريف عن اطمئنانه وهدوئه ، ولا عن إيمانه بتقاليده .

وقل ما تقوله أيضا ؛ فان تستطيع أن تنكر أن قوة الريف إنما تتمثل في هذه الظاهرة ، وأن مصر قد ابتلعت كل الفاتحين وكل الوافدين بهذه القوة نفسها ، وأن عمق تنالدها هو الذى حماها من الأندثار فى خلال عشرين قرنا قضتها فى ظلال الفاتحين من كل جنس ودين ! فعلى هذا الأساس يذبح أن نبني مشروعاتنا الاجتماعية : كل مشروع يعارض التقاليد العميقة مقضى عليه بالفشل مهما كان صالحا ، ومهما كانت السلطة التى تسنده ، ومهما كانت العقوبة التى تؤكده . وما هو إلا أن يصطدم بالصخرة الراسية المطمئنة حتى يذهب بددا ، وتبقى الصخرة الراسية المطمئنة .

لقد كنت من أشد الداعين مثلا إلى سن قانون بالكشف الطبى على الزوجين قبل الزواج . كنت متحمسا لهذا المشروع وأنا هناك فى القاهرة ، أشاهد المجذومين والمصروعين والمسولين ، وأعلم بأنهم أبناء المرض والشذوذ ، وأشاهد فتيات القاهرة وهن يسبحن فى الطرقات كالديدان ويرتدن كل مكان . فكنت حينئذ أنادى : يجب أن يكشف على الخطيين قبل الزواج !

ثم جئت إلى الريف . فإذا هذا المشروع الذى كنت متحمسا له ، حلم جميل ، وخيال بديع . ولكنه لا يستطيع أن يثبت للواقع ، ولا أن يقف للتقاليد !

أين هى الأسرة التى تعرض فئاتها على الطبيب ليقرر صلاحيتها للزواج ، مهما تكن شدة العقاب ؟ لأنه لا وجود لهذه الأسرة ، ولو شذت أسرة واحدة ، لوقفت التقاليد العميقة فى الطريق . وليقل من شاء كيف شاء : ” هذا تأخر . هذه رجعية . هذا جهود “ فسيذهب هذا القول فى الهواء ، وسيتم الزواج بلا كشف طبى ، وسيحتال على القانون ، فإذا لم توجد الحيلة فيخرق القانون ، وليكن ما يكون !!!

أفلا سبيل إذن إلى الإصلاح الاجتماعى أمام التقاليد ؟

هناك السبيل ، ولكن على شرط ألا يصطدم بالتقاليد ! وأن يكون العرف والدين مساعدين للقوانين . ومن الذى يعرف هذا العرف من القاهريين ؟ ومن الذى يعرف الدين فى الريف كيف يكون ؟

أيها المشرعون : تبالوا هنا إلى الريف قبل أن تتعجوا أنفسكم فى صوغ القوانين . ومن الريف ، ومن تقاليد الريف ، خذوا الاتجاه العام ثم صوغوا النصوص كما تشاءون !

(٣)

وللبينة هنا منطق لا سبيل إلى تجاهله . وهو منطق الواقع الملموس .

جلس معنى شاب ريفى غنى يتحدث من نفسه فى سداجة وطلاقة وهناك مستمعون كثيرون . قال ما معناه : ” إن من نعم الله على أئى لا أعاف شيئا ، وأن نفسى لا تتقرز

من شيء . فليست كالآخرين الذين يرون مريضاً أو قذراً يشرب من إناء فلا يشربون من ذلك الإناء ، أو يسمعون أن هناك مريضاً يمرض يعدى فيمتنعون عن زيارته ... إننى أتوكل على الله ، ونفسى لا تخشى شيئاً من قدر الله .“

فماذا قال السامعون ؟ إنهم جميعاً بلا استثناء ، وفيهم الشيخ والشاب ، وفيهم الغنى والفقر ، قالوا بصوت واحد : ”هذه نعمة من نعم الله عليك حقاً ! هذا شيء جميل ومريح ! هذا فضل من الله !“

هذا منطق البيئة . البيئة التى تعجز المتحرزين عن التحرز . والذين عاشوا فى الريف يعلمون معنى هذا الكلام ، فلن تستطيع أن تعزل مريضاً عن بقية الأصحاء ، لأن منطق البيئة لا يستسيغ هذا العزل . ولن تستطيع التقصير فى عيادة مسلول ، لأن منطق البيئة لا يقبل عذرك فى هذا التقصير . ولن تستطيع أن تتفرز من طفل قذر أو رجل أجرب أو مجذوم ، لأن منطق البيئة لا يغفرك هذا التفرز .

وما هو إلا أن تقيم فى هذه البيئة بضع سنوات حتى تطحنك طحناً ، وتعجنك عجناً ، وتحملك ريقياً فى منطقة ومعاملتها ، لأن هذا هو منطق الريف !

ومن هذه الكلمات التى نقلتها لك من حديث هذا الريفى تستطيع أن تفهم كيف تنتشر العدوى ، وكيف تنبذ نصائح الأطباء ، وكيف تذهب إذاعات وزارة الصحة ، وكيف تعم اللاوبئة فى فترات مقاربة أو متباعدة .

والباب الوحيد المفتوح للإصلاح الاجتماعى والصحى من هذه الناحية ، هو باب الوعظ الدينى . فهذا الريفى المصرى مفتوح السمع والقلب للدين ولدعوة الدين ، وإن لم يكن فى ظاهره من المتدينين . وإن المصرى لأشد أهل الأرض استسلاماً للدين فى أعماقه ، حتى لتجد هذا الاستسلام فى كبار المجرمين والمفسدين !

يستطيع الوعظ الدينى المثقف أن يهض بالعيب إذن فى الريف المتدين ، وهذا يلتفت نظراً بشدة إلى التقصير فى هذه الناحية وإلى القصور فيها كذلك فالواعظ الدينى يجب أن يكون مثقفاً عصرياً عالم ، وأن نبذل من العناية فى إعدادده ما يبذل لأعظم مشروعات الإصلاح الاجتماعى فهو أساس هذا الإصلاح فى الريف .

أيها الوادى المنساب فى ضمير الأبد . أيتها الأرض العريقة فى مجاهل التاريخ . إننى أحبك . أحبك على الرغم من كل شيء .

وأما أتم أيها المصلحون الاجتماعيون والمفكرون الاقتصاديون : فتمالوا هنا إلى الريف العريق ، إلى الأرض الطيبة ، إلى الوادى المقدس . ومن هذه البيئة القوية العميقة خذوا مشروعاتكم وسنوا قوانينكم ، وإلا فآتم خيالون أو هازلون !

سيد قطب

الشعب والحكومة في الإصلاح

بقلم حسن الشريف

نلاحظ بغبطة وسرور أن الاهتمام بالمسائل الاجتماعية وبالإصلاح الاجتماعى قد ازداد في مصر ازديادا محسوسا منذ أنشأت الحكومة وزارة للشؤون الاجتماعية . وهذا دليل على أن في أمتنا غرائز خيرة كثيرة ، تنشط إلى العمل الصالح متى نهت إليه .

ولكن التنبيه إلى العمل الصالح والتنبيه إلى وجوبه لا يكفيان . بل يجب فهم هذا العمل أولا ، ثم تنظيمه وتوزيعه ثانيا ، ثم تنسيق الجهود القائمة به أخيرا .

بهذه الطريقة نستطيع أن نعمل عملا منتجا وأن نصل إلى غاية معينة . أما الرغبة في الإصلاح كيفما اتفق ، وتزاحم الجهود حيث يجب أن تتوزع ، وتوزعها حيث يجب أن تتجمع ، واختلاف أساليب التفكير فيما يجب وفيما لا يجب ، وتباين وجهات النظر فيما يحسن أن نبدأ به وفيما يحسن أن ننتهى إليه ، كل هذه فوضى تم على أن فينا حافزا للعمل ، ولكنها على كل حال فوضى لا يستقيم بها أمر ، ومحال أن يتحقق معها إصلاح صحيح .

فنحن إذ نشد الإصلاح الاجتماعى ونعمل له ، يجب أن نعرف أمراضنا الاجتماعية قبل لكل شيء ، وأن نعرف وسائل علاجها بعد ذلك . فإذا ما وثقنا من أننا أحسن تشخيص الداء وأحسن وصف الدواء ، بقى علينا أن نعرف كيف نتعاون حكومة وشعبا - على حمل أعباء الإصلاح الاجتماعى في هذه البلاد .

لقد ألفنا في مصر أن نعتمد على الحكومة في كل شيء ، وأن نحمل عليها جميع الأعباء . فهى المطالبة بتعليم الشعب وتربيته ، وإنشاء الملاجئ والمستشفيات ، وبترقية الزراعة وإيجاد الصناعات ، وتوفير العمل للعاطلين والوظائف للتعامين ، وهى المطالبة أيضا بإبطال البدع ومقاومة الخرافات والقضاء على العادات السيئة والأخلاق المفقودة ، وبغير ذلك مما يجب أن يعتبر بعضه أو أكثره من واجبات الأمة قبل أن يكون من واجبات الحكومة ، أو على الأقل من واجبات الأمة والحكومة متعاونتين .

ولكن استقراء تاريخ الحضارة الحديثة يدلنا على أن الإصلاحات الاجتماعية إنما قامت بها الشعوب قبل أن تتولاهما الحكومات ، بل يدلنا على أن عمل الحكومات في تلك الإصلاحات لم يزد على الرعاية والرقابة والتوجيه .

والواقع أنه لا يمكن للحكومة أن تسبق الشعب إلى الإحساس بحاجاته ، وإنما هي تستمد منه قوتها ، وتسترشد برغباته في إصلاحاتها ، وتجهد الحافز على الإصلاح في تلك الحاجات والرغبات . وليس من طبائع الأشياء أن تنشط حكومة ما دام الشعب راكدا ، ولا أن تركد حكومة إذا نشط الشعب وألح في طلب التغيير والإصلاح .

والشعب لا ينشط إلا إذا انتشر النور بين طبقاته ، وأصبح ذا وجدان مرهف يدلّه على حقيقة نقائصه ومشكلاته الاجتماعية . وهو عندئذ لا يبعث الحكومة على الإصلاح فقط ، وإنما ينبعث أفرادها بأنفسهم على هذا الإصلاح .

والحقيقة أن فضيلة السبق إلى التفكير والابتكار initiative يلزم أن تكون وأن تظل فضيلة شعبية . فالشعب يبدأ بالإصلاح صغيرا ويسير فيه شوطا ، ثم تجئ الحكومة فتستأنس بالخطى التي سبقت إليه فتأخذ به وتستخدم قواها للتوسع فيه . وهذا هو الذي حدث بالفعل في البلاد المتقدمة . فإن ميزة الابتكار في جميع تلك البلاد كانت للشعوب قبل أن تكون للحكومات .

لقد كان التعليم المدرسى والجامعى في إنجلترا إلى وقت قريب العهد مجهودا شعبيا خالصا وليس هذا بالغريب في الأمم الديمقراطية ، لأن الشعب الذى يضطلع بتبعة الحكم يجب أن يضطلع بتبعات الإصلاح .

ولا أظننى أننى القراء بجديد إذا قلتُ لم أن حكومة الولايات المتحدة بأمريكا لا توجد فيها وزارة معارف وأن التعليم هناك تشرف على أموره مصلحة في وزارة الداخلية . وليس معنى هذا أن الحكومة الأمريكية لا تعنى بشؤون التعليم ، وإنما معناه أنها وجدت من نشاط الشعب في تأسيس المدارس والجامعات ما أغناها عن إنشاء وزارة للتعليم . وهكذا يتعاون الشعب والحكومة في هذا الميدان بحيث يبقى نصيب الشعب في هذا التعاون أكبر من نصيب الحكومة بكثير ، والدليل على ذلك أن مدارس الحكومة وجامعاتها هناك هي دون مدارس الشعب وجامعاته في العدد وفي نفاعة البناء وتأثير المعامل واختيار المدرسين .

ولقد قام الشعب الانجليزى بحركة التعليم بما كان له من جمعيات خيرية ، ثم جاءت الحكومة فتوجت هذا المجهود الشعبى بقانون للتعليم الإلزامى صدر في سنة ١٨٧٠ ولكنها لم تثنى وزارة للمعارف إلا منذ ثلاثة وأربعين عاما فقط .

وما التعليم مع هذا سوى واحد من الإصلاحات التي تعاونت فيها الحكومة والشعب ، وكان فضل السبق إليه للشعب لا للحكومة . أما شؤون الصحة والتعاون الصناعى والزراعى وإبواء اليتامى والعجزة وإنشاء المؤسسات الخيرية فقد قام بها الشعب المستنير في أوروبا

وأمریکا ، ثم ساهمت الحكومات في توسيعها وتنمية مشروعاتها . مثال ذلك أن المستشفيات كانت حتى عهد قريب في إنجلترا من عمل الشعب ومجهوده لا دخل للحكومة فيها . ولا تزال المصحات والمستشفيات الأهلية تفضل مستشفيات الحكومة وتمتاز عليها ضخامة وسعة وأنانا واطباء ومعامل .

وكذا يعرف أن الحكومة البريطانية تأخذ على عاتقها تأمين العمال من التعطل والمرض والشيخوخة ، وتأمين الأم من نفقات الولادة وتكاليفها ، وهذه الأنواع من التأمين وغيرها تقتضى من الحكومة مبالغ طائلة تحسب بمئات الملايين من الجنيهات . ولكن يحسن ألا ننسى أن هذه التأمينات كلها قد قامت بها من قبل جمعيات الصداقة Friendly Societies وهى جمعيات أسسها العمال والفقراء متضامنين متعاونين على تفريغ الضائقة التى قد تحمل بواحد منهم في يوم من الأيام .

ولإنشاء الملاجئ كان وما يزال من عمل الشعب . وتلك بيوت برناردو Barnardo Homes في إنجلترا واسكتلندا والمستعمرات البريطانية الحرة مفعرة من مفاخر الشعب الانجليزى ومثال للبر الاجتماعى الذى يمارسه أفراد هذا الشعب . وبيوت برناردو كما هو معروف ملاجئ تربي وتعلم وتستخدم كل من ياجأ اليها من يتامى وأبناء الفقراء .

في الحكومات العصرية نزعتان متعارضتان : نزعة تميل نحو التدخل الحكومى في أعمال إصلاحية كانت إلى وقت قريب مما لا يتبالى به الحكومة أو مما تركه للشعب يقوم به وحده . فقد كانت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لا تعرف شيئاً من التأمينات الاجتماعية للعمال والفقراء . ولكن الرئيس روزفيلت فيما يسمى مشروع "الصفقة الجديدة New Deal" قد كلف حكومته نحو ستة مليارات جنيه (جنيه لا دولار) انفتت كلها في أنواع من أعمال التأمين والإسعاف .

وهناك حكومات تمنح الأفراد مكافآت مالية تشجعهم على التراجع والتنازل . وهناك حكومات تبني منازل للعمال وتشارك الشركات الصناعية في أعمالها ولعل أغرب مثال لذلك هو اشتراك حكومة السويد في صنع الخمر وبيعها ، حتى أنها جعلت الساق (Bar man) في الحانات موظفاً من موظفى الدولة . وهو بهذه الصفة لا يهيم أكثر زبائنه أم قلوا ، فلا يقدم الخمر لخاصر ولا يعطى منها لسكران ولا يبيع زجاجة مقفلة الا ببطاقة رسمية . فالتدخل الحكومى هناك يقصد منه التقييد المنظم لتجارة ثبت أن ضررها أكبر من نفعها .

وهذا الميل نحو التدخل الحكومى تقول به الأحزاب الاشتراكية وتستند فيه على أن التطور الصناعى اذا كان قد نجح في زيادة الانتاج فهو قد عجز عن زيادة الاستهلاك وأن الأزمات الاقتصادية المتكررة تنشأ من تلك الزيادة في الانتاج مع هذا العجز في الاستهلاك .

على أننا اذا وجدنا هذا النوع من التفكير الاجتماعى متطرفا من ناحية ، فاننا نجد ما يقابله فى النزعة الأخرى . فهوربرت سبنسر يذهب الى أن من واجب الحكومات أن تقتصر مهمتها على تحقيق أمن الدولة وسلامة الأمة أى على تنظيم الجيش للدفاع ضد عدو أجنبي ، وتنظيم القضاء والبوليس للدفاع ضد عدو داخل . أما بعد هذا فليس على الحكومة من واجب ، وإنما على الشعب وحده أن يقوم بأمور الصحة والتعليم وغير ذلك .

رأيان على طرفى نقيض . أما الحقيقة فى اعتقادى . فهى كامنة بين هذين الطرفين . فان تدخل الحكومة ليس محمودا فى كل شئ ، واقتصارها على الأمن العام للدولة والأمة لا تعززه مشاهدات الحاضر ولا مشاهدات الماضى . فالدفاع ضد العدو الخارجى يحتاج الى جيش ، والجيش — كما يقول نابليون — يمشى بمعدته ، أى يمشى متى صح وشيع . ومن هنا نرى أن الصحة جزء مهم من أمن الدولة وسلامتها . وكذلك فان الحكومة الديمقراطية لا يمكنها أن تعيش ولا أن تنتج فى شعب جاهل لا يفهمها ، لأن جهل الشعب يعوقه لا يستسغ أعمالها ويعرضها لقلقل وأنقلابات مستمرة ، ومن ذلك نفهم أن تعليم الشعب شرط لأمن الدولة . وعند ما تتقدم الصناعات الآلية والميكانيكية فى أمة ، يحدث التمثل بين العمال الزراعيين والصناعيين فتقع الحكومة فى مشكلة اجتماعية تحتاج الى الحل السريع . وعندئذ يدعو الأمن العام الى تحاشي مساوئ هذه المشكلة بكيفالات وإعانات تمنحها الدولة للعمال المتعطلين .

وهكذا نرى أن علاج مشكلات الإصلاح والانشاء والتعمير عمل لا تستغنى الحكومة فيه عن الشعب ولا يستغنى الشعب عن الحكومة ، بل يجب أن يظل موضوعا للتعاون الدائم بينهما .

ونحن فى مصر نعرف أمثلة كثيرة لاصلاحات عديدة قام بها الشعب وسبق الحكومة اليها ، ولكنها أثمرت ثمرتها الطيبة عندما تعاون عليها الشعب مع الحكومة ، فكان للشعب فيها فضل الحافز والعامل اذ أحس الحاجة اليها فجعل يدرس مشروعاتها ويخطط أسسها ثم أخذ فى انشائها والسير فيها حتى تحققت ونمت ، وعندئذ تدخات الحكومة فأمدت هذه المشروعات بقوتها المالية فضاغت فوائدها وعممت ثمراتها .

هذه مثلا جامعة فؤاد الأول ، أنشأها الشعب المصرى عند ما أحس حاجة الى الثقافة العالية . ولقد سارت هذه الجامعة مدة طويلة لا تجد غير رعاية الجمهور سنداً لها . ولكن سيرها كان يتدم بالبطء والضعف الى أن جاءت الحكومة وتعاونت مع الشعب . وهنا وجدت الجامعة المعونة الكبرى فبرزت مضطلة بكل أعباء الثقافة العصرية .

وتاريخ تلك الجامعة هو تاريخ جهد شعبي لا يخفى مغزاه على أحد من المصريين .

وأبرز من هذا المثل مثل المدارس الأهلية التي أنشأها الشعب في أنحاء البلاد لتعليم التعليم . فإلى سنة ١٩٢٤ لم يكن لوزارة المعارف مدرسة ثانوية للبنات ، أما الشعب فكان له عدد من هذه المدارس . وعند ما نذكر الجمعية الخيرية الإسلامية وجمعية العروة الوثقى وجمعية المساعي المشكورة والجمعيات الخيرية القبطية فنحن أمام أعيننا جهود الشعب المصرى فى سبيل نشر التعليم ، تلك الجهود التي عاوتها وزارة المعارف بالإعانات المالية الكريمة وبالإشراف اليقظ وبالتوجيه السليم .

فسألة التعليم فى مصر كانت وستبقى مسألة التعاون بين الشعب والحكومة .

ونحن حين نسمع أن فى جامعة فؤاد الأول زهاء ثلاثمائة فتاة مصرية يتعلمن فى كلياتها المختلفة ، يجب أن نذكر بفخر أن لمجهود الشعب الفضل الأول فى هذا الانتصار الثقافى وأن فضل الحكومة إنما يأتى فى المكان الثانى . وبعبارة أخرى يجب أن نقول أن التعاون بين الشعب والحكومة هنا قد أثمر أحسن الثمرات .

والأزهر . لقد كان هذا المعهد العظيم يعيش بمجهودات الشعب وحدها أى بالأوقاف التي حبسها عليه رجال البر فى الأزمان الماضية . والشعب المصرى مفتور على البرحبح للإحسان ، كما تدل على ذلك المساجد والكائس فى أنحاء مصر .

ولكن العصر الحديث قد استحدث حاجات جديدة تحتاج الى بر من نوع جديد . فالمدينة العصرية التي تزدهم بالأطفال المتعطلين هى غير القرية التي كان الصبي فيها يعمل عمل أبيه فى الزراعة أو فى رعاية الماشية . وهذا الصبي يحس اليوم حاجات لم يكن يحسها الذين من قبله ومن هذه الحاجات ما يجب أن يستجاب حتى لا يشب الطفل شاعرا بجرمانه من معرفة القراءة والكتابة والحساب والمسليات البريئة المفيدة . كذلك المستشفيات والمستوصفات والملاجئ قد أصبحت تنادى أهل البر وأصدقاء الإنسانية ، لأن أخطار المدينة وأمراضها وأمراض الريف تتطلب الإكثار من تلك المبرات . ومثل هذا يقال أيضا فى المدارس التي بتنا فى حاجة الى المئات بل الآلاف منها ، وفى الشبان الذين يحتاجون إلى أندية رياضية تحول بينهم وبين المفاصد .

هذه المنشآت وغيرها هى من مبتكرات الشعوب فى البلاد المتقدمة لم تتدخل الحكومات فى أمرها الا معاونة أو منظمة .

وكما تقدمت المشكلات الاجتماعية ازدادت الحاجة الى اطالة التفكير والتدبر فى اختيار النوع الأنسب من الإحسان وإيثار لون من البر على لون آخر . والروية فى مسألة الإحسان خير من التسرع والارتجال . وهنا يطيب لى أن أذكر اسم روكفلر الثرى الأمريكى العظيم .

فقد حبس ملايين من الجنهات على أعمال البر ولكنه ترك تعيين نوعها الى لجنة خاصة عرف
أنها أدري منه بقيمة الخدمات التي تعود على الانسانية من لون من ألوان البر دون غيره .
أما هنا في مصر فمعظم البر متجه الى إنشاء المساجد والزوايا . وقد تكون القرية عندنا في جهة
ما محتاجة الى مسجد ، وقد تكون في جهة أخرى حافلة بالمساجد ولكنها تخلو من مستشفى
أو ملجأ أو مستوصف . ففى هذه الحالة نحتاج الى دقة التمييز وحسن الاختيار .

والثرى في أمريكا لا يعتمد على نفسه كل الاعتماد في تعيين نوع الإحسان الذى يريد
أن يتفق فيه ما يحبس من أموال ، بل هو يستشير ويرد الرأى ويدرس الموضوع .

وفى جميع المدارس الأهلية الانجليزية مكافآت (Scholarships) ينتفع بها التلاميذ
الأذكاء إذ تتحمل المدرسة تكاليف دراستهم العالية في إحدى الجامعات ، وقد تزيد على ذلك
إمدادهم بالمعونة المالية إذا ضاق بهم أهلهم أو عجزوا عن الإنفاق عليهم ، وهذا برنكاد
لا نعرفه في مصر ، وجعلنا به يحرم الأمة الانتفاع بكاء أو نبوغ الكثيرين من أبنائها الفقراء ،
ولست أعرف من كنوز الأمة الطبيعية ما يساوى النبوغ الخام الذى يقربون أن تتاح له
فرصة النماء .

فى كل هذه الأشياء : أى فى إنشاء الأندية لشباب المدن ، وتأسيس المدارس ،
ورصد المكافآت المالية لأبناء الفقراء الأذكاء ، وإنشاء الملاجئ لليتامى والعاجزين ،
وإقامة المستشفيات للرضى والمصابين ، يجب أن يتعاون الشعب مع الحكومة تعاوناً وثيقاً
يكفل خير النتائج وأحسن الثمرات ، والشعب حين يتجه الاتجاه الاجتماعى الصحيح لا يتنبه
فقط الى واجباته بل يتنبه أيضاً الى حقوقه ، لأنه إذا كان سيسخر بماله لإقامة مستشفى
شعبى مثلاً ، فانه سيقف موقف الرقيب الدقيق على ميزانية الدولة حتى إذا وجد باباً من
أبواب الاسراف ألح فى إقفاله ، إذ لا معنى لأن يتبرع الشعب بماله حراً مختاراً وهو يجد
التبذير فى أموال الدولة التى جبتها من الضرائب .

على أن السخاء والتبرع والإحسان ليست مقصورة على بذل المال ، فانه همة الشباب
عند ما توجه الى الخير تكون نوعاً من أنواع البر والإحسان ، واتمد استطاع عدد كبير
من الطلبة أن يبتكروا المنشئات الاقتصادية والخيرية ولم يكن لديهم من سند يستندون إليه
غير النشاط ، ثم جاءت الحكومة فتوجت جهودهم كما رأينا فى مشروع القرش وكما نرجو
أن نرى فى مشروعات أخرى .

معركة النظافة

تبذل وزارة الصحة في هذه الأيام جهداً عنيماً في مكافحة الأوبئة ، وتتخذ في هذه المكافحة جميع الوسائل ، ومنها النشر والإذاعة والإرشاد — وهى وسائل نظرية — واستئجار الحمامات وإباحتها للجمهور مع منحهم الصابون للاستحمام وغسيل الملابس — وهى وسائل عملية — وزيادة كميات البترول لغلى الملابس — وهى وسائل مساعدة :

ويجب أن نذكر أن معظم الأوبئة المتفشية هى أمراض القذارة ، لأن الذبابة والفملة والبعوضة وهى ناقله هذه الأمراض حشرات لا تعيش إلا مع القذارة . وقد كتبنا مرة في هذه المجلة مقالا تحت عنوان : "هل نحن شعب قذر" ؟ فنحن أن تكون هذه صفة أصيلة في المصريين ، لأن التاريخ يحفظ عن نظافة مصر القديمة الشيء الكثير ؛ ولكننا صرنا شعبا قذرا لأسباب كثيرة في مقدمتها الفقر الذى تعانيه الملايين ..

ففى ذكرنا أن هذه الأوبئة هى أمراض الحشرات ، وأن الحشرات وليدة القذارة ، فلنذكر أن القذارة هى وليدة الفقر فى أغلب الحالات ولنذكر أن مكافحة الفقر مكافحة لأمراض القذارة جميعا ، ولأمراض سوء التغذية كذلك (وإن يكن هذا ليس مجال الحديث عنها) .

ولنحاول أن نذكر — بعد أن نجحت مكافحة التيفوس وابتمد خطره — بحلول الصيف أن الشتاء قادم وأن مصدره كان هو القذارة ، وأن مصدر القذارة هو الفقر المعجز عن النظافة ، فنستبقى فى نفوسنا بعض الحرارة التى نستشعرها الآن لنحاول بها مكافحة الفقر بقدر الإمكان .

والآن تجهد وزارة الصحة كل الجهد لمكافحة القذارة ، وتنشر الدعاية ضدها بكافة الوسائل ، فيستجيب لها القادرون على النظافة ، بينما يسمع الآخرون هذه الدعاية ويقابون أكتفهم من الأسف على أنهم لا يستطيعون تلبية الدعوة ، وإنقاذ أنفسهم وأهلهم من الداء الذى يهددهم فى كل آن .

يستجيب لدعوة النظافة من يملكون الصابون ، ويملكون البترول ، ويملكون الثياب ، ويملكون نوعا من الفراش ، فأما أولئك الذين لا فراش لهم إلا الهلاهيل ، ولا ملابس لهم إلا الأسمال أو ما يشبه الأسمال ، ولا قدرة لهم على شراء البترول لغلى الهلاهيل ، ولا على شراء الصابون لغسلها ، بل الذين لا يستطيعون شراء الماء — ولساء سعر فى كثير من الجهات يعجز عنه الكثيرون ، أما هؤلاء فيسمعون ويسكتون وإن أعينهم لتفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون !

وقد أحست وزارة الصحة بهذه الحقيقة المرة ، فاستأجرت عشرات الحمامات وأباحتها للفقراء وقررت أن تصرف لهم الصابون بالحجان ليستحموا ورفسلوا ملابسهم ، وقد تدفقوا على هذه الحمامات بالألوف ، مما يشعر أن القذارة ليست طبيعية فيهم ولا رغبة لهم ، وإنما هي ضرورة واضطرار

ولكن هذه الحمامات التي استؤجرت وفتحت أبوابها للفقراء يقع معظمها في العواصم والعواصم ليست كل شيء ، وهناك ملايين في الريف قدزون يسبح القمل في أجسادهم وملابسهم ولا عاصم لهم من الأوبئة ، ولا قدرة لهم على النظافة ، وهم ينتقلون هنا وهناك وينقلون معهم قملهم وتيفوسهم وسواه من الأمراض فإذا أعدت وزارة الصحة لهذا كله وماذا أعدت الأمة أوقاية نفسها مما يهدد أفرادها جميعا :

إنه لا يكفي أن تكون هناك في العواصم حمامات مفتحة الأبواب للجماهير — وإن كانت لن تكفي الجماهير — وهبها تكفي جماهير العواصم العاجزة عن النظافة ، فإن وراء المدن ملايين أخرى لا يستطيعون أن ينتقلوا إليها ولا أن ينتفعوا بحماماتها .

وإنه لا يكفي أن يسمع الناس دعوة وزارة الصحة فينقذها بضع عشرات من الألوف القادرين على النظافة ثم تبقى الملايين تنطبق عليها المثل العاصي (العين بصيرة واليد قصيرة) ويبقى القمل يسبح في أجساد هذه الملايين وملابسهم وأسمالهم ، وينقل معه الداء الوخيم القتال . وإن المهمة ليست مهمة وزارة الصحة وحدها ، ولا مهمة الدولة وحدها . إنها مهمة الأمة . فهذه الأمة مهددة بالخطر ، ولن ينفع الأغنياء النظيفين فيها أن يحاربوا الحشرات في بيوتهم الخاصة وفي ملابسهم الخاصة ، بينما الفقراء القذرون يملأون المسالك والفجاج ، وينثرون حشراتهم وأمراضهم في كل مكان .

نعم إن وزارة الصحة يقظة وهي تبذل أقصى ما تستطيع وتوزع آلاف قطع الصابون بالحجان . ولكن جهودها مهما تكن ، محدودة بالقياس إلى هذه الملايين . والأمة بجمعوعها مسئولة لا وزارة الصحة بمفردها

يجب إذن أن تصنع الأمة لنفسها شيئا ، وأن تدرك الخطر عن نفسها بشيء من التضامن وشيء من التعاون وشيء من التضحية الخفيفة ، التي لا يشعر بها المنوسطون فيها بله الأغنياء ويجب أن يكون هذا الذي تصنعه الأمة لنفسها عملا مباشرا في سبيل النظافة ، وعملا محليا لا يصطبغ بصبغة الرسميات ولا بالإجراءات المطولة التي لا تلاحق خطوات الداء .

في كل مدينة أغنياء وفقراء ، وفي كل قرية أغنياء وفقراء ، وفي كل حي من الأحياء أغنياء وفقراء . وإن الأغنياء في كل مدينة وكل قرية وكل حي ، يستطيعون أن يتبرعوا بشيء من الصابون وشيء من البترول . وإنهم يستطيعون أن يتصلوا اتصالا مباشرا بالفقراء بوسيلة من الوسائل — ولكن في صورة جماعة من المتطوعين يزورون البيوت بيتا بيتا فيوزعون عليه الصابون والبترول ، وينثرون الدعوة المباشرة للنظافة ، والتحذير المباشر من القذارة والأوبئة

ولكن الصابون والبترول ، إنما يجديان حين تكون هناك ملابس تغسل وتغلى ، وأنا أؤكد للسادة الأغنياء ، أن هناك من ليست لهم ملابس تغسل وتغلى . فستبقى المهمة إذن معقدة ما لم يكن لهؤلاء ملابس . ونحن لا نريد لهم ملابس حريرية أنيقة ، إنما نريد لهم لباسا وكفى لباسا من أى نوع ، فليكن من عمل هذه الجماعات أن توفر لهؤلاء الناس لباسا أيا كان ! هذه هي الوسائل العملية . أما مجرد الدعوة والتحذير فتمد يقيده ، ولكنه لن يقاوم الداء ، ولن يمنع القذارة ، ولن يحمي الأغنياء من قذارة الفقراء !



قرأنا منشورا للحكدارية بالتنبيه المشدد على رجال البوليس بالنظافة وتوقع أشد العقوبات على من يتهاونون منهم في العناية بها .

ويجب أن يكون رجال البوليس آية في النظافة ، ويجب أن توقع أشد العقوبات على المهملين منهم في النظافة ، فإنهم مظهر الحكومة ، وعنوان الدولة ، ومنفذو القانون . ولكن يجب في الوقت ذاته أن يكونوا قادرين على النظافة ، فانا نعلم أن مرتباتهم ضئيلة ، وأن الغلاء يردق كبار الموظفين ومتوسطيهم لأن قدرة مرتباتهم على الشراء قد هبطت إلى ما يقرب من الربع ، فرجال البوليس مرهقون إذن بطالب الحياة ، وقد يعجزهم هذا الإرهاق عن المحافظة على النظافة المطلوبة منهم ، وقد يقعون تحت طائلة العقاب ، أو يتقون العقاب بتجويج أنفسهم وأهليهم لشراء الصابون والبترول !

ونحن نقترح أن تصرف لهم الحكدارية : إما على حساب الدولة ، وإما عن طريق التبرعات — كميات مناسبة من الصابون والبترول بالمجان مساعدة لهم على تنفيذ أوامر الحكدارية الواجبة التنفيذ فإن هذه خطوة عملية في مكافحة القذارة ، وإليه لواجب لمظهر الدولة ولثباتها في تنفيذ القانون .

يجب أن تكون عمليتين ، وألا نكتفى بالدعاية أو بالتعليقات ، فالدعاية واجبة ، والتعليقات ضرورية ، ولكن التيسير والتسهيل واجب كذلك . وفي الأقوال المأثورة : (إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع) .

إن الدعاية سهلة وإن التعليقات سهلة كذلك ، ولكن الأمور لا تتم بالدعاية ولا بالتعليقات وإنما تتم بالأعمال ، والأعمال أصعب ولا شك ، ولكن لا بد لنا من مواجهة الصعاب ، وقد أصدرت الحكومة أمرا عسكريا يتيح لها إجبار الأفراد على نظافة المساكن والشوارع والبدن والمفروشات من الحشرات ، وكذلك إجبار أصحاب وسائل النقل العمومية والمتنديات وما إلى ذلك على رش المواد المبيدة للحشرات ويمكنها من سحب زخخص السواقين والباعة الجوالين والسيارات والمربات ذاتها إذا انضج وجود القمل أو غيره من الحشرات فيها .

وكل هذا جميل ومشكور . ولكن يبقى المنبع . يبقى عجز الكثيرين عن النظافة لأنهم لا يملكون وسائل النظافة . وقد أدت وزارة الصحة واجبا ، وبقي أن تؤدي الأمانة واجبا كذلك . وهذا هو ذا صوت النذير يدوي في آذانها ، وأداء الواجب لا يكلفها إلا القليل .

من أسس العمران الاجتماعى

الملاجئ — دور العلاج

(للاستاذ فايد العمروسى)

نظم الملاجئ

كثير من المصلحين فى هذا العهد تناولوا بأبحاثهم معظم النواحي الاجتماعية والاقتصادية وكثير منهم تناولوا فقد نظم التعليم بجميع أنواعه وكل ما يتصل به ، ولم أجد بين هذا وذاك حظا للملاجئ العامة فيما كتبوا أو عالجوا ، ولست أعرف سببا لهذا سوى تنامى أهمية هذه الدور فى مجتمعاتنا أو اسقاطها من حداد معاهد التعليم والتربية ، أو على الأقل مراعاتها بالنذر اليسير من نتاج الأقلام ولقد شاء الله ألا يطول عهد تناسيها أو نسيانها كثيرا ، فنذ أن وجدت وزارة الشؤون الاجتماعية والاهتمام بهذه الملاجئ سائر بخطى سريعة والعناية بها جادة فى طريق الإصلاح والتنظيم ، وليس أدل على هذا من المؤتمرات الخاصة والعامة التى يقوم بها معالى الوزير الحالى للبحث فى أمر هذه الملاجئ وادخال النظم وزيادة الاعتمادات المالية التى ترفع من شأنها وتجعل الحياة فيها هنية رخيصة يسعد بها المحرومون الذين يعيشون فيها .

والاهتمام بمسألة الملاجئ فى مصر جزء مهم من سياسة العمران الاجتماعى وركن أساسى من أركان النهضة العامة فى ناحيتها الانسانية ، وهى على قلة عددها فى بلد كصر فينقصها كثير من الرعاية والنظم فى نواح شتى وأهمها :

نظم قبول التلاميذ بها ، الرعاية الصحية ، مشكلة المخرجين فيها ، البعث الى الخارج هذه أربعة أمور لكل منها ملاحظات خاصة نجلها فيما يأتى :

نظم قبول التلاميذ

الملاجئ كالمدارس ، فى نظام قبول التلاميذ بها ، فهى ذات لوائح وقوانين تحدد فيها من القبول وتوضح حالة المقبولين من فقر ويتم الى غير ذلك ، وهى اذ تطبق هذه اللوائح تطبيقا كاملا فانما تنوى تعميم الاستحقاق على من تتوفر فيهم هذه الشروط توفر لا تجاوز

فيه ، وبذلك تستطيع أن تنفذ الآلاف من الأطفال اليتامى الذين لو تركوا في ميدان الحياة هدفًا لفقرهم ويمتدحهم لأصبحوا من أفنك عوامل الخطر في كيان المجتمع ، هذه هي التواعد الاجتماعية التي أخذت بها نظم الملاجئ، وما يشبهها في قبول الأطفال بها وهي نظم لا غبار عايرها ولا نقد ، ولكن يظهر أن تلك النظم نفسها قد تطرق إليها التجاوز أو الاستعمال في دائرة أوسع منها ، فقد لوحظ أن نسبة المقبولين في هذه الملاجئ — في السنوات الأخيرة — ممن لا تنطبق عليهم اللوائح عدد كبير ، ويقابل هذه النسبة نفسها عدد آخر حرم من القبول فأصبح عدد الطفولة المشردة التي شغلت وما زالت تشغل بال المصلحين والمفكرين ، وانقد قرأت لمعالى وزير الشؤون الاجتماعية ضرورة تكوين مؤتمر عام من المشتغلين بالمساكل العامة للنظر في أمر هذه الملاجئ وتحديد الحالة العامة لاستحقاق المقبولين بها ورفض من لا يستحقون ، وليست اشارتي الى هذه الناحية من الملاجئ مستقاة من الأخبار العامة أو ما يشبهها ولكنها قائمة على معرفة خاصة لبعض نواحيها، وما أشبه قبول عدم المستحقين في هذه الملاجئ بأعفاء كثير من تلاميذ المدارس من المصروفات وهم قادرين ، وعمل فيما يصنع ولاية الأمور من إصلاح هذه الملاجئ ما يحتم تنفيذ لوائح اليتيم والفقر بالدقة الكاملة في المقبولين حتى لا يحرم من التربية من هو أهل لها وجدير بها .

الرعاية الصحية :

نظم الرعاية الصحية في هذه الملاجئ هي نظم الرعاية الصحية في جميع المدارس الابتدائية فليست هناك وحدات لعلاج الأمراض المتنوعة ، وليست هناك دور علاج خاصة لهذه الملاجئ ، وهذا أمر ولا شك يلفت النظر، إذ أن أطفال الملاجئ ليسوا في حاجة الى الطعام والشراب والتعليم فقط أكثر من حاجتهم الى علاج أمراضهم ودفع غوائل العلل عنهم ، إن مسألة إطعامهم أمر دين عليهم في الحياة حتى لو اشتغلوا خدما بالمانازل، وكذلك مسألة تعليمهم أمر ميسور جدا بعد انتشار التعليم الإلزامي وتعميم غذاء الأطفال فيه ، أما مسألة المرض وعلاجه فهو الصعب العسير عليهم بل على ذيرهم ممن يعيشون من ثروتهم ويتعلمون على نفقات ذويهم .

الملاجئ — على قاتها — تتسلم الأطفال اليتامى لتربيتهم وتعنى بشؤونهم الى سن خاصة فأول ما يجب أن تعنى به هي مسألة الصحة العامة قبل كل شيء ، ولقد أعرف أن ميزانية الملاجئ كبيرة وأن معظمها ينفق في الطعام والشراب والعناية بالملابس وأسرّة النوم وتدعيم أسس الصناعات التي يتعلمها الأطفال ، وليس بكثير أن يرصد بعض من تلك الميزانية

أو يراد عليها جزء للعناية بالحالة الصحية ، فكثير من الملاجئ ليس بها مستشفيات محلية لمرضى ، وكثيرا ما تضطر إدارات الملاجئ إلى فصل بعض التلاميذ المرضى بأمراض معدية وذلك لعجزهم عن إيوائهم في دور علاج خاصه أو إرسالهم إلى المستشفيات العامة لتدريتها أولا ولضيقها ثانيا .

أعرف كثيرا من هذه الوقائع وأمثالها ، ويكفى أن أقص حكاية تلميذ في أحد الملاجئ أرسل إلى أهله لأنه مريض بمرض جلدي ، وقد حكمت إدارة الملجأ ألا يعود التلميذ إلى دراسته أو قل محل إقامته وتربيته حتى يشفى تماما من مرضه !!

هنا وفي هذه الواقعة الصغيرة نواح للتعجب والتأمل !! من أهل هذا التلميذ اليتيم الفقير ؟ وما هو مرضه ؟ وكيف يعالج حتى يشفى ومرضه غير معروف له دواء ؟

إن تصرف الملجأ بالنسبة لهذا التلميذ صحيح لا غبار عليه طالما أن مرض التلميذ معد ولكن ما العمل والتلميذ ليس له أهل ، أوله أقارب ليسوا أحسن منه حالا ؟ لقد حرصت إدارة الملجأ على صحة تلاميذه ولم تحرص على صحة أطفال الجمهور في الشوارع والطرق ، فهذا التلميذ المريض المطرود ، سوف يجرى في الطرق ، وسوف يمتك بالأطفال أمثاله فيعدى منهم العشرات كل يوم حتى يشفى ! وبعض التلاميذ يمرض بهذا المرض نفسه فيبحث عن أهله أو أقاربه ، فإذا بعضهم في الاسكندرية والآخري قنا فترسل إليهم أطفالهم في السكك الحديدية مخفوفين بالحراس !!

هذا تصرف ولا شك عجيب ! ولكن سرعان ما يزول العجب إذا علمت أن الإدارات التي تصرفت هذا التصرف معذورة كل العذر وأنه لم يكن لديها سوى هذا التصرف ، إذ أنه ليس لها دور علاج خاصة بالأمراض الجلدية ، وليس في القاهرة على اتساعها إلا دار واحدة في مستشفى الأزهر بها عشرة أسرة لا غير !!

وهنا وفي هذه الناحية بالذات نتوجه الى معالي وزير الأوقاف الذي عرف بالبر والخير والنشاط الدائب في السهر على إصلاح بعض الملاجئ التابعة لوزارته ، وأن يضيف الى صناعته العالية التي عرف بها بعض الاهتمام بهذه الملاجئ ، ولا سيما فيما يتعلق بالرعاية الصحية لهم من إنشاء دور علاج صغيرة خاصة بأبنية الملاجئ ، وبإقامة الوحدات الصحية على اختلاف أنواعها كما هو الحال في النظم الصحية بالمدارس الثانوية .

المتخرجون في الملاجئ :

يتخرج التلميذ في الملاجئ في سن السادسة عشرة ليتحق بالأعمال الحرة أو بأعمال في بعض الصناعات الحكومية أو الهيئات المنظمة ، ويلاحظ أن هذه سن صغيرة لا تسمح

اصحابها بالتفكير السليم في الحياة العملية ، وقد يترتب على ترك الأطفال في هذه السن أن تفسد حياتهم وأن يسلمهم الفساد الى البطالة أو التشرذم فيضيع عليهم وعلى الملاجىء التي تعهدتهم ما بذلت من جهود وتضحيات ، ولتجنب هذه النتائج يحسن أن يزداد في مناهج الصناعة في الملاجىء ما يسمح للتعليم فيها بالبقاء الى سن الثامنة عشرة على الأقل فيتخرج في عمله وهو على سعة والمأم بالمهنة التي اتمتها وقد ثبت أن الشبان الذين تخرجوا في الملاجىء ناجحون في الحياة الصناعية ، فهم منتشرون في دور الأعمال الحكومية والأهلية ، وكثير منهم سلك العمل الحر فنجح فيه وسار سيرة مرضية وبعضهم قد اشتغل في نفس الملبأ الذي تخرج فيه .

صبيان أو شبان هذا شأنهم وتلك اثارهم ليس بكثير عليهم أن نمدحهم ستين زيادة على السن المقررة لهم في ترك الملاجىء ، وهو وقت أن يضع علينا مدى وصنجنى منه في مجهود هؤلاء الصبيان أضعاف ما تتكلفه الدولة من مصاريف .



البعوث الى الخارج :

ليس في البلاد المصرية جميعها الا ملجأ واحد أسس على النظم الحديثة وبني خصيصا لتربية اليتامى من الأطفال ، هذا هو ملجأ الحرية الذي يضارع في نظمه وأبنية أرقى المدارس الداخلية الحديثة ، وما بقى من الملاجىء في المدن أو المراكز إنما هي أبنية استخدمت لها ، شأنها في ذلك شأن كثير من أبنية مدارس الحكومة المستعملة الآن . ومن الاسراف أن نزعهم بأن في استطاعة الحكومة اقامة أبنية جديدة للملاجىء أو نقلها الى أبنية أخرى أكثر صلاحية ولا سيما في هذه الظروف ، وإذا لم يكن من المستطاع تحقيق هذه الرغبة من الناحية المادية ، فانه من المستطاع الأخذ بنظم الملاجىء الحديثة والعمل بها داخل أبنيتها الحالية ، وهذه النظم الحديثة يمكن أن يودعها المشرعون أو المقترحون في نظم التعليم عامة ، وكما أن التعليم في جميع نواحيه قد أدخل فيه التطور الحديث عاما بعد عام بواسطة الاختصاصيين المطلعين على النظم الحديثة في البلاد الأوروبية فكذلك يمكن أن تنال الملاجىء في مصر نصيبها من هذا التعديل . تبعث البعوث العلمية والفنية كل عام الى أوروبا للتخصص في نواحي الثقافات المختلفة ولم نسمع أن واحدة منها كانت لدراسة النظم في الملاجىء الأوروبية ، ولا أحسبني مبالغا إذا ادعيت بأنه ليس عندنا من المتخصصين في الثقافات أو دراسة النظم التعليمية من يؤدي مهمة تنظيم الملاجىء على شاكلة في أوروبا ، نعم عندنا عدد قليل زاد

الملاحي، الأجنبية واقتبس منها بعض نظمها ثم أدخلت في ملاحظتنا على الطريقة المصرية ، ولكن هذا ليس كافيا ، إذ لا يزال العدد الأكبر من الملاحي، بيوتا للأوى فحسب تنقصها وسائل الترفية عن الأطفال وتفتقد في مجموعها روح الاطمئنان والبشر، وما أحوج اليتامى الى هذه الروح .

نريد بعونا إلى الخارج أو متخصصين في دراسات نظم الملاحي، يتولون بعنايتهم إصلاح النظم عندنا وتكييفها بالطرق العملية المنتجة من الناحية العقلية للأطفال وبالطرق التهديبية التي تصلح أخلاقهم فتشع في نفوسهم الاطمئنان وينسون مرارة الحرمان واليتم .

يستطيع أن ندخل في الملاحي، الحديثة كثيرا من المظاهر الطيبة ، منها الزيارات الأسبوعية لأمهات الأطفال وهي زيارات جمعية تعقد فيها أواضر الصداقة والمعرفة بين الأمهات وتتأصل روابط الألفة والود بين الأطفال ثانيا، ومنها الاحتفال بالمواسم والأعياد احتفال الأسر في منازلها فيشعر الأطفال بالفرح والبهجة بما يوزع عليهم من الحلوى أو الهدايا المناسبة وبما يباح لهم من حرية المرح واللعب وبما يشهدون من مظاهر الاهتمام بهم في هذه الأعياد ، ومنها الرحلات الجمعية وزيارة الأماكن التاريخية وغير التاريخية والتنزه في الحدائق والطرق العامة الفسيحة وفي هذا ما فيه أيضا من إدخال البشر والبهجة في نفوس هؤلاء الساكنين .

ومن هذه المظاهر الطيبة عرض الأفلام السينائية على اختلاف أنواعها تعليمية أو تهديبية أو للتسلية ، وبعض الملاحي، الأوربية عنيت كل العناية بتخصيص دور للأفلام في أبنية الملاحي، أو خارجها واهتمت بإخراج الأفلام القيمة التي لها صلة بحياة هؤلاء الأطفال صفارا وكبارا ، والتي تعرض عليهم نموذجا صالحا من حياتهم العملية في مضمار الحياة .

كذلك من المظاهر الطيبة أن يتنازل بعض أثرياء الأمة ووجهائها فيخصصوا بعض الزيارات للملاحي، وألا يضمنوا بجزء من أوقاتهم في رؤية وجوه طائفة من أطفال الشعب المحرومين على أن تكون هذه الزيارات نواة للاكتتاب بما تجوده به نفوسهم لهذه الملاحي، وبما يعطفون به من الهدايا المناسبة لهم ، كذلك من نظم الملاحي، الحديثة أن تقام فيها بعض الحفلات الموسيقية الجامعة وأن يحيي هذه الحفلات الموسيقيون المعروفون حتى يشعر الأطفال أنهم من الشعب وأن الشعب منهم ، وحتى يطمئنوا إلى أنهم متصلون بالعمل الخارجي في جميع مفاصله وأنه لا ينقصهم من متع الحياة شيء ، وكذلك من النظم أن يكون في كل مابجا مسجد أو محل لعبادة وأن يكون لكل منهما إمام أو مرشد يقيم بهم الفرائض الدينية ويلقى عليهم الإرشادات الناعمة في اجتماعات عامة وفي هذا ما فيه من تهذيب النفس وإخلاق معا .

هذه بعض النظم عل بعضها معمول به عندنا في دائرة ضيقة ، وعلى معظمها ليس له وجود في نظامنا الحالية وما أحسبها إلا نظاما في حدود المستطاع لا يقف في طريق تحقيقها صغوبة ما .



ومن أسس العمران الاجتماعي " دور العلاج " ونهضة الاهتمام بالصحة العامة في مصر قائمة على قدم وساق منذ خمس سنوات إلى الآن ، ولا تزال وزارة الصحة تفكر في المشروع تلوا المشروع وتنفيذ الإنشاء تلوا الإنشاء ، وإنا نرى ونسمع كل يوم طلائفة من الخلق والتجديد في تميم وسائل الصحة في المدن والريف ، وإن نشاط معالي وزير الصحة وسهره الدائب في تنفيذ مشروعاته الصحية — ولا سيما في هذه الأيام — لما يوجب الثناء والإجلال غير أن هناك ظاهرة مأموسة لنا صلة بتوزيع وسائل العلاج في البلاد ، هذه الظاهرة هي :

تركيز المستشفيات الكبرى في المدن الكبيرة

في القاهرة والاسكندرية وبعض عواصم الأقاليم دور علاج كاملة لا ينقصها شيء من النظم الحديثة ولا تعوزها المستشفيات الطبية في العصر الحاضر ، وهي نمتيا قد تفي بحاجة سكان هذه المدن وما جاورها دون غيرها من الأقاليم الريفية النائية ، لذلك كثر الضغط على هذه المستشفيات فضاحت بمن فيها ولا سيما مستشفيات القاهرة والاسكندرية ، وإنك ترى العشرات من المرضى كل يوم يفدون إلى العاصمة بأمراضهم المختلفة فلا يجدون في المستشفيات العامة أو الخاصة أماكن لإقامتهم وعلاجهم ، وإذا وجدوا فإنما هم زائدون فوق الطاقة يعالجون كيفما يكون .

هذه ظاهرة — ولا شك — واقعة ، وهي جدية بالتشكير فيها والعمل على تلافى ما ينجم عنها من أخطار ، إن العلاج غذاء الصحة ، كما أن مواد الطعام والشراب غذاء الجسم بخير أن يوزع الأول على صحة الجمهور توزيعا مناسبا ، كما وزع الثاني عليهم توزيعا عادلا ، فلا أقل من أن يكون في كل مركز من مراكز القطر مستشفى عام كامل الأدوات والعدد ذو أقسام مختلفة باختلاف الأمراض وتنوعها ، وفي هذا ما يخفف الضغط عن دور العلاج في العواصم الكبرى ، وما يوفر على المرضى من القرويين مشقة الانتقال وكثرة النفقات .

في مراكز القرى دور للعلاج ، ولكنها دور جزئية ينقصها كثيرا من الاستعدادات الطبية التي تلزم لفحص الأمراض الخطورة والمستعصية ، وقد ترتب على تركيز المستشفيات الكبيرة في القاهرة والاسكندرية أن تركز فيهما أيضا مهرة الأطباء وعلمائهم وباحثوهم ، وما أحوج الريف المصري إلى الانتفاع بطب هؤلاء البارعين حتى يستأصل ما في مرضاه من أمراض مستعصية خطيرة .

لقد عنت وزارة الصحة بإنشاء الوحدات الصحية في الريف كما عنت بإنشاء المستشفيات المتنقلة للرمد والبلهارسيا والانكاستوما وجميع الأمراض الطفيلية، وهذا وأمثاله قد خفف من حدة البلاء المنتشرة في الريف من هذه الأمراض وأزال ما كان يهدد الشعب من الخطر والوباء ، ومع هذا وذلك فلا تزال الحاجة ماسة الى إقامة المستشفيات الثابتة لأنواع الأمراض الأخرى من حميات وجراحة وعظام ، وفوق ما في هذا من انقاذ المرضى وتعميم المستشفيات الكبيرة فإن فيه تشجيها للهيئات والجماعات الخيرية المشتغلين بالطب والعلاج في أن يرغبوا عن المدن الكبيرة قليلا فيؤسسوا بعضها من منشأاتهم النافعة في الأقاليم وبالتالي يرغب فيها الأطباء فيعم النفع ويتم توزيع وسائل العلاج على البلاد توزيعها معقولا .

واجب المرضين

لا نزاع في أن الأعمال الملقاة على عاتق الأطباء في المستشفيات شاقة متعبة فوق كونها كثيرة لا تطاق ، ولا نزاع أيضا في أن كثرة الأعمال تتيح الاسراع فيه وعدم الزيت، ولقد نشأ عن هذا الإرهاق أن ألقى بعضا منه على عاتق المرضين والمرضات في المستشفيات الحكومية، فأصبح المريض أو الممرضة مسؤولا عن علاج المريض ورعايته والاهتمام به كـ « نصف طبيب » فالمريض في المستشفى العام أو الخاص يوكل اليه مقياس الحرارة وتقديم الأدوية وتغيير الأربطة للجروح واعطاء « الحقنة » واسعاف الخطورة التي تنشأ بجأة وما إلى ذلك وما تستلزم رعاية المريض ، وكل هذه واجبات لا يستهان بها لأنها الخطوات الطبية نحو المستشفيات ، والاخلال بها أو التهاون في تنفيذها طبقا للنظم الطبية فيه ما فيه من خطورة على المريض ، وفيه ما فيه من افساد للعلاج وضياح للتداوى ، وهي في الوقت نفسه أمور لا يتسع وقت الأطباء للقيام بها وليس لها من يقوم بها سوى المريض أو الممرضة لذلك وجب أن يعنى بتهيئة هذه الطائفة تهيئة صالحة طبية ، فلا يكفي أن يكون المريض ذاتجارب في العبادات الخاصة حتى يباح له العمل في المستشفيات فالمريض مساعد للطبيب في تنفيذ العلاج الطبي بالدقة التامة فليس بكبير عليه أن يتلقى أصول التمريض في مدارس خاصة تنشأ خصيصا لهذا الغرض يتلقى فيها بعض المعلومات الطبية ويلم بثئى من معرفة الأمراض والأدوية بأنواعها المختلفة ، وعلى أن في « قصر العيني » قسما يهيئ لمرضات المستشفيات فإن هذا ليس كافيا إذ أن المتخرجات في هذا القسم كثيرا ما يقمن بأعمال الحكيمات قبل التمريض ، على أنهن قليلات جدا بالنسبة الى عدد المرضين والمرضات الذين يعملون في كافة المستشفيات أو دور العلاج الخيرية ، هذا ما يلزم أن نهئى به المريض من الناحية الثقافية أو الطبية ، وبقى ما يجب أن نعنى به من الناحية الإدارية لهؤلاء المرضين .

المرضى أمانة وديعة في أيدي الأطباء أولا ثم في أيدي المرضى-ين ثانيا ، ولا ينبغي أن ينوء الطبيب تحت إرداق العمل فيتسرع في العلاج أو يكتفى ببعض منه ولا سيما لارضى الذين يعالجون بالمجان ، وإن حادثة المريض الفقير الذى نخرج من المستشفى قبل أن يتم علاجه لتحفزنا إلى الإشارة إليها دون تعليق... والمرضى هو الأمين الثانى بعد الطبيب والضمان تأدية واجبه على الوجه الأكمل ينبغي ألا يتهاون معه إذا قصر فى واجبه ، وينبغي أن توضع له اللوائح والتعليمات الكافية وأن يؤخذ أخذاً لا هوادة فيه بتنفيذها ، والمرضى فى حاجة إلى دقة الإشراف على عمله واليقظة إلى تصرفاته مع المرضى وأحسب أن الشدة والحزم من الوسائل التى تكفل لنا قيام المرضى بعمله وفقا لتعليم الطبيب ونظمه العلاجية ، ولقد سمعنا عن بعض الحوادث ما يهبطنا إلى أن ننبه إلى وجوب الإشراف عليهم إشرافا دقيقا دون مجاملة أو عطف أو تساهل ما دام بيدهم أرواح المرضى وما دام هذا عملهم الذى يكافئون عليه بالأجور أو المكافآت .

فى البلد مئات من الشبان المتعلمين والمثقفين ثقافات ابتدائية أو متوسطة فلماذا لا ننفع بهم بفتح مدارس للتمريض لا تزيد مدة الدراسة فيها عن عام واحد يلتحق بها هؤلاء الشبان ثم يحصلون منها على إجازات للتمريض بمرتب مشرف معقول ؟ وما أظننى مخطئا إذا قلت إن هؤلاء الشبان وأمثالهم يتبنون هذا النوع من العمل فى حدود المرتب المعقول ، وأى شئ يمتنعنا من إنشاء مدارس للتمريض للفتيات تضم إلى مدارس البنات التابعة لوزارة المعارف يكون لها منهج خاص للتمريض وأصوله وطرقه وفنونه مع الإلمام بمبادئ الطب فى دائرة محدودة ؟

إن التمريض فى ذاته عمل إنسانى نبيل وهو من أشرف الأعمال وأسمىها فى الأمم الغربية ، وأنت لك لتجد فى المرضى أو المرضات الأوربيات من هن ذوات حسب عريق وجاه عريض ومن هن ذوات ثقافات عالية وتجارب واسعة ، وهن على عملهن هذا ذوات أمكنة عالية فى المجتمع الذين يعشن فيه ، ولقد أقبلت فتياتنا فى هذا المهنة على الاشتغال بالتمريض فنجحن فيه وبرهن على استعدادهن الكامل للقيام بهذا العمل الشريف ، وياحبذا لو أخذ ولاية الأمور بهذا الاقتراح ففتحو المدارس الخاصة بالتمريض "للبنات" وهن بفطرتهن يملن إليه لأنه جزء من غرائزن أولاً لأنه أمومة فى دائرة أوسع وطريقة أعم .

قيود المستشفيات !

ذكرتني حادثة المريض الذى أشارت إليه الصحف بما لقيود المستشفيات من أضرار تصيب المرضى فى حالات الإنقاذ... هذا مستشفى خيرى لا تبيح له لوأمنحه أن ينقذ مريضا

محموما مثلاً ، وذلك أحر لا تبج له نظمه أن ينفذ جريماً في حادثة فعلاً ، وذلك ثالث لا تسمح له قوانينه بأسعاف ممدوغ أو محروق ، هذه قيود ولا شك لها أسس تتعلق بنوع المستشفى وطرق العلاج فيه وتخصيصها بناحية من الإنقاذ ، وهى وإن كانت في ظاهرها مقبولة عقلاً إلا أنها غير مقبولة من الناحية الإنسانية التى لا تتقيد بلوائح أو تخصيص ، إن أول واجب على المستشفيات بأنواعها المختلفة حكومية وغير حكومية الإسراع بالإنقاذ أما العلاج فهذا امر ثانوى تقوم به الناحية المختصة به ولكن بعد أن تتم عملية الإنقاذ السريعة التى هى واجب إنسانى يقوم به كل مستشفى وكل عيادة خاصة وكل طبيب بل كل إنسان قادر على الإنقاذ .

تقع الحادثة أحياناً لشخص قائم يقضى نحبه دون إنقاذ فيضيع ضحية الاجراءات الشكلية التى تتعلق بما يسمونه " ناحية الاختصاص " هذه ظامرة وتلك قيود يبنى أن تقول ويبنى أن يكون لدينا من التشريعات الاجتماعية ما يحو كل عرقلة طبية في إنقاذ المصاب ، والإصابات كثيرة الوقوع في كل لحظة والاتصال بالمستشفيات أو جمعيات الأسعاف يستنفذ بعضها من الوقت هو بالنسبة الى المصاب وقت كبير قد يؤثر على حياته بالضرر ، والذي يستطيع أن يساهم في الإسراع بالإنقاذ هى عيادات الأطباء الخاصة والصيدليات ثم المستشفيات اذا تجاوزت — ويجب أن تتجاوز — عن قيودها التى فرضتها ناحية اختصاصها عليها ، ولن يكون هذا أمراً محتوماً ما لم تختمه التشريعات والقوانين ، وما لم يوضع للتهاون في الإنقاذ نوع من المؤاخذة أو العتاب اذا اقتضى الأمر هذه مساعدات انسانية لو عدت بين أفراد الشعب انهار أساسه الخلق وتفتى فيه روح الحمجية وعدم المبالاة ، ونحن شعب له أساس نفسى وله رابطة اجتماعية قائمة على ذلك الروح الذى يحو الأنانية ويميت الخمول النفسى ويوقظ المروءة ويحبب الى التضحية الشريفة التى هى رمز لرقى الاجتماع .

” قائد العمرومى ”

مسئولية الرجل

قبل الزواج وبعده

بقلم الكاتبة زينب محمد حسين

لكل منا مسؤوليات في الحياة ، يحتم عليه واجبه الإنساني تحمل أعبائها ، والعمل على الوصول بها إلى أعلى درجات السمو والكمال ، حتى يمكنه أن يكون فردا ناجحا يزهو بإنسانيته ، ويفخر بذاته كعضو عامل في المجتمع .

”وإن كان لنشأة الإنسان ومقدار ما يحصله من ثقافة وتهذيب أثر كبير في رسم طريقه في الحياة ، فالمجهود الشخصي أيضا أعظم الأثر في تعبيد ذلك الطريق والوصول بصاحبه إلى أعظم درجات المجد والرفعة .

وإنه لمن الظلم أن ننسب عبوس الحظ إلى الرجل الخامل الكسول ، وإبتسامته وإشراقه إلى النشاط السعيد ، مع أن الحظ براء من هذا الخلط ، فالأقدار تريدنا دائما في صورة كاملة عظيمة ، ولكنها تترك لنا الاختيار في اجتياز طريق الحياة ، ولنا بعد ذلك ما نريد . فإما أن نعرف واجباتنا ، ونقدر مسؤولياتنا فتحملا بإشجاعة وإقدام ونسير بها قدما إلى السعادة والنجاح ، وإما أن نجبن وتراجع فنرمى بأنفسنا إلى المصير المجهول الخافل بتصنوف الشقاء والآلام“ .

ومسئولية الحياة رغم صعوبتها لذيدة مشوقة لكل من يعرف جمال اللذة الحقيقية في الحياة والسعادة الحقيقية هي التي لا يصل الإنسان إليها إلا بعد أن يتحمل في سبيلها من المشاق ما يتحمل ، وبعد أن يجاهد في اجتياز عقباتها بصبر وجلد ، حتى إذا ما وصل ”في طريق أحلامه“ إلى القمة الزاهرة ؛ وقف مزهوا رغم ما أصابه من وعناء الطريق ، لينظر في اعتداد إلى ثمرة جهوده وقد آتت أكلها . . .

فلولا عذاب الأمل ما استسغنا لذته ، ولولا لذة الأمل ما عرفنا يوما سعادة الأمل في الحياة .

واعلم في هذه الكلمات البسيطة معنى ظاهرا لما غمض على هؤلاء الذين يتساءلون عما إذا كان الزواج حقا مسؤولية خطيرة ، أو هذا الذي يتساءل كيف أكون رب أسرة ناجحا ؟

إنها ولا شك أسئلة عجيبة من رجال الجيل الحديث ، إن دلت على شيء عظيم تأثرهم بأقوال بعض هؤلاء الذين لم تؤهلهم طبيعتهم أو ميولهم ليكونوا أزواجا ناجحين في الحياة أو هؤلاء الذين يشعرون بنقص في ذاتهم يصور لهم خطورة الزواج لافتقارهم إلى طبيعة الرجل الكامل فعمدوا إلى تصوير الزواج في صورة وهمية رهيبة ملأوا بها عقول بعض الناس وشوهوها بسموم أفكارهم وهم في ذلك يقولون ما قاله ثعالة في المعتقد عند ما عزز عليه الوصول إليه .

ولا شك أننا ندرك عظم حاجتنا إلى تفهم التعاليم الزوجية كي نعرف أن الزواج هو عقد قانوني بين رجل وامرأة ، يقوم على صداقة مشتركة بينهما ، ويفرض على كل منهما واجبات ومسئوليات نحو أنفسهما ، ونحو أولادهما ، ونحو الهيئة الاجتماعية أيضا ، وهذا العقد لم يعمل لتحقيق رغبات خاصة ، وإنما شرع لوضع أساس بناء العائلات .

ولما كان وجود الأسر المتينة البنيان ضروريا لخير الإنسانية ، وجب على كل فرد أن يساهم في القيام بنصيبه من هذا الواجب بعد أن يكون قد عرف حقيقة مسؤولياته وماذا يجب عليه أن يفعل في مختلف أطوار شبابه ، حتى إذا وجد أنه قد قام بدوره كاملا في الحياة ، ورأى أنه قد بلغ السن الذي يؤهله للزواج ، أقدم عليه بجرأة واعتداد وانقأ أنه سيكون ولا شك رب أسرة محترم يعتد برجولته ، ويژهو بكرامته .

فمسئوليته قبل الزواج تنحصر في إعداد مستقبله والنضال في سبيل الوصول إلى طريق النجاح بخطوات واسعة ملموسة ، ناظرا للمستقبل ، وللاستقبال فقط ، حتى يمكنه ذلك أن يرتشف من ينابيع المجد كؤوسا مترعات ، ويواجه تلك الخطوة الجديدة ، خطوة الزواج بما يجب لها من الاحترام والتقدير متخذًا للوصول إليها ما يلزم من احتياطات مشرفة للرجولة الحقة .

فيعمل ما استطاع على اختيار شريكة حياته من طبقة تماثل طبقته وذات ثقافة تقل قليلا عن ثقافته أو تماثله . .

وليس معنى هذا أن نتخذ فكرة الزواج سلما لتحقيق المآرب الشخصية ودخول البيوتات ومعرفة أسرار الأسر والتندد بها في المنتديات بين الأصدقاء والمعارف فإن هذا ولا شك يسيء إلى سمعة الرجل إساءة بالغة ، وينفر الناس منه .

وليس أحقر من رجل يعمد دائما إلى سرد القصص ، كاذبة كانت أم حقيقية عن مقامراته مع الفتيات الساذجات وعن صولاته وجولاته في ميادين العريضة والمجون .

وبهذه المناسبة أذكر أنني أعرف عائلة لا يعضى على أفرادها أسبوع إلا وهم يقيمون الدنيا ويقعدونها ، ويرسلون الدعوات إلى الأهل والمعارف لمشاركتهم في الذهاب لرؤية

فتاة جديدة لابنهم البكر. وناهيك بما تسدعه بعد عودتهم الغاشلة دائما من مختلف الأقاويل ، مدح وقدح ، وإعجاب وسخرية ، وشفقة ورناء ، تنقل من فم إلى فم ، ومن حي إلى حي ، حتى تصبح سير العائلات وأخبار الفتيات بين الناس قصصا لاثرثة والأقاويل .

وهذا الأمر زيادة عن أنه شائن وضعي ، فهو أيضا يشوه فكرة الزواج عند الشباب ويصورها أمامهم في صورة مخزية مخالفة للواقع في كل شيء .

وإني لو اتقنت من أن مثل هذا الابن بعد أن ألفت عليه فكرة الزواج ، وعاش زمنا يتأمل في حقائقها ، سوف تدفعه الحياة رغما عنه يوما ما إلى سلوك الطرق الملتوية في اختيار شريكة حياته ، ولا يبعد أن تكون تلك الفتاة الموعودة أول من يقابلها في الطريق دون التطلع إلى قيمتها الحقيقية أو مركزها الاجتماعي .

وعند اختيار الزوجة يجب ألا ندع للظواهر الكاذبة كل الأثر في نفوسنا ، فغتر بالجمال الخارجي والاناقة المصطنعة ، دون التطلع إلى ما يخفيه ذلك الستار الزاهي من حقائق . فكم من جمال ضل الناس مع تياره وغرقوا في بحاره ، فإذا بهم يتطردون بما تقع عليه أعينهم من جيف وتن . وكم من جميلة جعلت — بقبح نفسها — من حياة زوجها مذلة وهوانا .

فالجميلة حقا هي من جمعت إلى جانب تناسب قسايتها جمال النفس وصفاء الروح . ومن أقوال الشاعر جبران في حقيقة الجمال "إنه في قلب من يشأقه أسنى مما هو في عين من يراه" وهذا لأن جمال المرئيات زائل بزوالها ، أما الجمال الكائن في دجائل النفوس ، فهو ذلك الذي نشتاقه دائما ولا نعرف ماهيته .

وليس بالعسير على الرجل الناجح أن يجد ضالته المنشودة في الحياة ، كما أنه ليس بالعسير أيضا أن يكون رب الأسرة موفقا ، إذا أمكنه أن يلم ببعض قواعد الحياة الزوجية السعيدة وهي في الواقع بسيطة غاية البساطة لا تستحق إلا مجهودا عاديا للعمل بها .

فالرجل كي يوفق في حياته الزوجية ، عليه أن يعمل قبل كل شيء على الاحتفاظ بمكانته كرب أسرة محترم ، وهذا لن يتوفر له إلا إذا كان مهذبا قوى الشخصية ، يمكنه أن يترك دائما أثرا مشرفا في قلوب من يرونه ، فلا يكون مهذارا دائم الضحك والعبث ، ولا ماجنا كثير الصخب والمرح ...

والنوسط في كل شيء جميل ، ولكل شيء وقته الملائم ، وأن يكون مع زوجته كريما في حزم ، رضى الأخلاق بغير لين أو تهاون ، متسامحا دون إفراط ، يعرف ما يجب أن يقال ولا يقال ، وما يجب أن يصاح للحياة وما لا يصلح ، يزن دقائق الحياة بميزان العاقل البعيد النظر ، ويقدّر أقواله وأفعاله قبل أن يقدم عليها ، وأن يعتقد أنه ليس إلا امرأة

تنعكس على صفحتها شخصية زوجها ، فإن كانت تلك المرأة مصقولة نقية العنصر ، أظهرتها في صورة مشرقة مهذبة ، وإن كانت رخيصة غياء خلعت عليها ظلمة وتشويهها .

ومما يخلق أكثر المشاكل العائلية أن يكون الزوج كسولا متبلدا ، إن قضى بعض الوقت بالمنزل فلا عمل له فيه إلا الأكل والنوم ... أو مستهترا يقضى كل أوقاته في الخارج ولا يزور البيت إلا لما - ين يود أن يملا جوفه بالطعام .

تلك حالة نلمسها في أغلب بيوتنا المصرية ، إن دلت على شيء فلي أن بعض الرجال مازالوا يقدمون على الزواج وهم جاهلون كل الجهل بأبسط واجباته غير مقدرين حقيقة مسؤولياته . ولعمري لا يستحق هؤلاء أن يكونوا أزواجا وآباء ، ولا غرو في أن تكون حياتهم الزوجية دائما تعسة فاشلة .

فليس رب الأسرة إلا هذا الذي يعرف كيف يكون نوتيا ور بانا يدير دفة أسرته بدقة وحزم ويحافظ عليها من أن تعصف بها الأنواء ، لذلك الذي يترك كل شيء للزوجة ويعتمد على مجهودها الفردي . فتعتمد سلطته كزوج وأب ، ويفقد احترامه في نظر الجميع .

وإن هذا الإهمال من جانب الزوج يشجع الزوجة على إهمال واجباتها نحو منزلها ونحو أبنائها ، هؤلاء الأبناء الذين يشبون في محيط يتخبط في ظلمات من سوء التفاهم ، يهينون عن عناية الأم ويقتطع الأنثى . فسوء نسلهم ويتشوه مستقبلهم ، ويكونون نواة فاسدة في قلب المجتمع .

فرب الأسرة ملزم باستطلاع كل دقائق المنزل والإلمام بكل ما يدور في محيطه يوميا ، وليس في هذا أي ضياع للوقت كما يتصور بعض الناس ، أو أن فيه خروج من الرجل عن حدود مسؤولياته ، فأشراف الرجل على أسرته واجب كواجب البستاني نحو حديقته ، إن تعهد بها بالسقي أينعت ، وإن أهملها جفت وذوت .

وإن المرأة لو علم الناس لمخلوق وادع رقيق في حالة دائمة إلى مساعدة الرجل وتلقى نصائحه مهما كانت درجة ثقافتها ومعرفتها ، لأنها ليست إلا طفل كبير في حاجة إلى الرعاية المستمدة ، ومن واجب الرجل أن يشملها بتلك الرعاية وأن يبذل لها النصيح والإرشاد من حين إلى حين ، على أن يكون رقيقا في إبداء تلك النصائح بحيث لا يجرح كبرياءها أو يمس كرامتها .

ولا يحط من قدر الرجل في عيني زوجته أكثر من أن يعمد إلى تقريرها بكلمات نابية تتعود على تبادلها وإياد على مر الأيام ، وناهيك بما تلوكه السنة الخدم من القمصين والمبالغات حول هذه الأمور في الطرق والبيوتات الأخرى .

فالرجل العاقل يمكنه أن يعمل على تكوين شخصية زوجته كما يحب بما يبيده أمانها من عادات وما يظهره في أقواله من آراء .

وكما كان الرجل عائليا يميل إلى الحياة الوداعة المستقرة كلما التفت حوله قلوب أفراد أسرته وكانت له بينهم مكانة عظيمة ومحلا ملحوظا يظل شاغرا كلما غاب عنه . ومن الغريب أن يتذرع بعض الرجال في غيابهم الدائم عن منازلهم بحجة قتل الوقت مع الأصدقاء بلعب الورق والمسامرة ؛ مع أنه في إمكان الرجل العاقل أن يستعير دائما بزوجه في مشاركته سائر ألعابه بالليل من الإرشادات ، فإذا كان ولا بد من قتل الوقت ، مع أن الوقت هو الذي يقتلنا لا نحن ، فمن اللائق أن يكون ذلك مع الزوجة حيث يكتسب الزوج شريكا مخلصا لا جليسا منافقا ، يتناوله وراء ظهره بالفدح ولاذع الأقاويل .

ولا شك أن هذا الأمر منه سيفخر البيت بالسعادة الدائمة ، ويشيع في جوّه الهبة والسرور ويجعل الزوجة تتفانى في إرضائه والعمل على إحاطته بكل أسباب الراحة والهناء .

على أن يحاول دائما إبداء إعجابه بما تعمل زوجته ، فيثني على طريقتها في تنسيق الأثاث ، وانتقاء ألوان الطعام ، واختيار ملابسها وطريقتها في تصنيف شعرها إلى آخر ما يبلا قلب المرأة سعادة واطمئنانا ، لأن ذلك يشجعها على بذل كل مجهود للوصول بنفسها إلى ما يجب أن تكون عليه المرأة الكاملة ...

ويجب عليه أن لا ينسى ضرورة إهدائها هدية بسيطة في المناسبات ، تشعرها بحبّه لها واهتمامه بارضائها ، وقد يكون لباقة من الزهر أو كتاب مشوق رغم تفاهة ثمنها أثر جميل في نفس الزوجة المثقفة .

وإذا مرضت يوما وأقعدها المرض عن أداء واجباته فلا يظهر لها تأفقا وامتناعا ، وليذكر مدى ما كانت تبذله من جهد كي توفر له السعادة والهناء .

وإني أرى قبل أن أترك هذا الموضوع أن أعرض أيضا لحولاء الذين قد سرى في نفوسهم داء تعدد الزوجات فانساقوا وراء رغباتهم الدنيئة وجشعهم المرذول حتى أصبحوا يرون في كل زواج جديد هواية مألوفة .

فالواحد منهم يظن أنه بتمتد زوجاته يبحث بينهن عن مثله الأعلى وسعادته المنشودة ومع ذلك فهو خاطيء يمّوه على نفسه وعلى الناس ، وإني أبشره بالفشل الذريع وتولى شبح السعادة عنه مهما تلمسه في ظلماته ، فالنساء جميعهن نساء مهما حاول الرجل تفضيل بعضهن على بعض ؛ وأخلاقه وطباعه محيطة هي التي تسعده وتثقيه ، وليس يستحيل على كل رجل أن يخلق من زوجته نموذجه ووحى آماله .

وتعمّد الزوجات لا يمكن أن يخفى منه الرجل غير الحسرة الدائمة والألم المرير ، فإدام الرجل لا يعرف كيف يسير سفينة حياته بامرأة واحدة فهو بالأحرى سيكون عاجزا عن ذلك مع اثنتين أو ثلاث .

وأن هذا الذى قد جعل الزواج تجارتها ، متناسيا كل شعور بانسانيته ، لأولى به أن يكون حيوانا يعيش بين العجاوات .

وانى كواحدة من بنات جنس أؤكد لكل رجل بأن امرأة المزاوج لا يمكن أن تكون مخلصه له مهما كانت درجة ثقافتها وبيئتها ، وهذه ولا شك مسألة لاتخفى على كل من لديه القليل من الفطنة والذكاء .

وها أنذا أسوق لكم مثلا بسيطا تجاورنا عائلة ربها ذوجتين ، أولاهما غير مثقفة ، والأخرى وهى الجديدة ذات ثقافة عالية ، ما ذهبت الأولى مرة لطبيب الأسنان إلا وذهبت الثانية لطبيب الأنف والحنجرة ، وما اشترت الثانية ثوبا جديدا إلا ومزقت الأولى أحسن ثيابها وأعطتها للخدم كي يكون لها نصيب الثانية من شراء الثياب ، وناهيك بما يحدث للزوج المسكين إذا أقعده المرض يوما عند إحداهما فلم يذهب إلى الأخرى فى ميعاده المحدد ، وما يتم به من تفضيل إحداهما على الأخرى مما يقيم عليه الدنيا ويقعدها .

ولا يمكنك أن تدخل منزلا كهذا دون أن تتصدع رأسك بختلف الأقاويل المملة من كل من الزوجتين عن الأخرى مما يجعل زيارتهما مموجة لاشئ فيها إلا الحديث عن الزوج الأبله الذى وضع نفسه مختارا بين يدي متنافستين قد جعلهما الحقد شيطانان فتغنتا فى تمزيقه كل شئاء قدرتهما على الكيد والتنمر ...

وما لنا نذهب بعيدا وأمامنا المحاكم الشرعية بما تنخر يوميا من قضايا النساء ومشاكلهن العديدة التى يخلقها بعض الرجال بقصر نظرهم وغفلتهم .

إن المجتمع لا يطلب من الرجل شيئا أكثر من أن يكون رجل ضمير ، رجلا عادلا يدرك ما يقتضيه العبدل والشرف من واجبات ومسئوليات .

ولا شك أن اليوم الذى يستيقظ فيه فى الرجل الضمير ، سيكون يوما يسعد فيه المجتمع وتستقر أحوال الأسرة ، ولا يبقى هناك مجال لقوانين أو تشريعات ما

في المدرسة الريفية بقرية المنايل

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم

ليس بين المعنيين بالمسألة الاجتماعية من يجهل اسم المنايل، تلك القرية التي فازت بين ألوف القرى المختلفة باختيارها المركز الاجتماعي الأول والمقرر المتفق لتجارب المشتغلين بأمر الريف العاملين أنهضته . لذلك كان لزاما علينا ونحن نترسم في هذا الباب خطى الإصلاح ونقتفى آثاره، أن نعرض لتجارب المنايل عرض الباحث الفاحص لئلا يرى مبلغ ماحققته ومدى ما أمهنت عنه تلك الاختبارات التي مضى على القيام ببعضها سنوات ثلاث .

قام العمل الاجتماعي بالمنايل بجهود هيئات أربع : الأولى وزارة الشؤون الاجتماعية، والثانية جمعية الدراسات الاجتماعية ، والثالثة رابطة التربية الحديثة ، وأخيرا مجلس مديرية القليوبية . تعاونت هذه الهيئات على القيام بعمل جديد في بابها فأنشأت بهذه القرية أول مركز اجتماعي وألحقت به مستوصفا ومركزا لرعاية الطفل والأمومة ، وأنشأت كذلك المدرسة الريفية الأولى التي أقامتها جمعية الدراسات الاجتماعية بإشراف رابطة التربية الحديثة، وتولى مجلس المديرية الإنفاق عليها .

ولما كانت مسألة التعليم الشعبي من أمهات المسائل الاجتماعية التي تشغل الأذهان اليوم ، وخاصة أن ولاية الأمور يعنون الآن بإعداد سياسة تعليمية جديدة لما بعد الحرب القائمة، وقد طلبت وزارة المعارف فعلا إلى المشتغلين بالتعليم أن يوافوها بما يعين لهم من رأى أو اقتراح ، لذلك رأينا أن نفرّد في هذا بحثا خاصا للمدرسة الريفية باعتبارها تجربة عملية وتطبيقا لنظرية حديثة خرج بها لقيف من صفوفه المشتغلين بالتربية في البلد من نطاق الفكر إلى حيز التنفيذ .

فلقد ظلت مكلفه الأمانة إلى عهد قريب هي المهدف الأسمى للتعليم الأولى حتى كان العصر الحاضر وما اتسم به من بروز المسألة الاقتصادية كعامل أساسي ملازم لكل جهد إصلاحي . عند ذلك عمدت المدرسة الحديثة إلى العناية بالمران العملي في المهنة التي تتصل بالبيئة حتى يزود النشء بثقافة تطبيقية يتمكن بها من اكتساب عيش ميسور — إذ ليس أضر من أن ننير بالمعرفة معالم حياة لا يجد الأحياء إلى التمتع بنعيمها سبيلا ، إنما ينفع العلم

ويؤتي ثمره حين ينهض بمستوى العيش تهوضه بمستوى الفكر. هذا ما انتهى إليه رجال التربية الحديثة في العالم كله وما قام بتربيته كبار المشتغلين بالتعليم بمصر في كتبهم وفي محاضراتهم وأبحاثهم ثم في تجربتهم العملية التي نعرض لها اليوم في مدرسة المنايل الريفية .

في المدرسة :

فهناك في الطريق المجاور لبلدة كفر حمزة من أعمال مركز شبين القناطر يرى المشاهد أكواما من اللبن متراصة متجاورة تتوسطها ثلاثة أبنية بيضاء تحوطها الحقول من كل جانب . هذه هي قرية المنايل ، وتلك هي مؤسساتها العامة : المدرسة والمستشفى ومركز رعاية الأمومة والطفل التابع للمركز الاجتماعي .

أما المدرسة فتقوم على جناحين متقابلين يفصلهما فناء فسيح ، وقد حوى أحد الجناحين فصول التدريس وضم الآخر المعامل الصغيرة التي ستناول الكلام عنها بإسهاب فيما بعد .

وتضم المدرسة مائتين وثلاثين تلميذا وتلميذة من قرى المنايل وسندرة وكفر حمزة . ويشرف عليها ناظر من خريجي كلية الزراعة يعاونه أربعة مدرسين للواد النظرية واثنان للصناعات ومعلمتان للاشغال اليدوية والفنون الطرزية .

ومنهاج الدراسة جديد في بابه وهو مأخوذ عن نظم التعليم الحديثة في أمريكا وفي أوربا ، فهو يبدأ بالصلاة ثم بدروس نظرية للبنين في لغة البلد والحساب وفي المعلومات العامة من جغرافيا وتاريخ وتربية وطنية في وقت تستغل فيه البنات بدروس عملية ، فإذا كان النصف الثاني من اليوم نخرج البنون إلى أماكن الدرس العملي وحلت البنات محلهم وهو نظام مأخوذ من بعض المدارس الأمريكية The Gary Schools وبه يتيسر الانتفاع بالمكان والمعلمين طول اليوم .

وإن من أظهر ما تمتاز به المدرسة الريفية مسايرتها البيئة التي يعيش فيها الأولاد ، فزيجهم جلاب من القماش المعروف بالدور وطاقيه ، وبينهم الكثيرون حفاة الأقدام (وهو أمر نرجو أن يعمل مجلس المديرية على تلافيه ، وخاصة أن البلد يعمل اليوم على مقاومة الحفاة) وقد كان الأولاد إلى عهد قريب يحكيون ملابسهم على أنوالهم بالمدرسة ، إلا أن مجلس المديرية رأى إمدادهم باللباس المجاني هذا العام — وتدور دروس المدرسة الريفية كذلك حول البيئة ، فالمطالعة والحساب ودروس الرسم كلها عن الفلاح وحياة الفلاح وزرعته وبيته وسوقه ومواشيه وحبوبه . كذلك يراعى البدء بالمشاهد في البيئة المحيطة في دروس التاريخ وعلم تقويم البلدان وفي التربية الوطنية ، فالطريقة الاسترائية هي المتبعة في كافة الدروس ، فمن الخالص الملموس ينتقل المعلم إلى العام البعيد — وقد حضرنا درسا في المعلومات العامة بدأ فيه المعلم بسؤال الضمائر

عن اسم البلد الذى يسكنون، ثم عمن يحكم هذه القرية وعما يتكئون من مجموعة القرى المتجاورة واسم الوحدة التى تضم المراكز المتقاربة ، ومن يديرها وهكذا تدرج المدرس بالأولاد من الأقسام الإدارية الصغيرة فى الإقليم إلى الأقسام السياسية التى تنتهى بتعريف الدول والقارات.

على أن أهم ما تمتاز به المدرسة الريفية ويسمى بها عن مراتب التعليم الشعبى العام من إلزامى وأولى عنايتها الكبيرة بالدراسة العملية، إذ تخصص نصف اليوم للعمل اليدوى الذى يكسب الصغير مرانا يمكنه من مزاوله المهنة التى تتصل ببيئته وحسبنا أن نعدد مرافق مدرسة المنايل كما شاهدناها :

أولا - حقل مساحته أربعة أفدنة يقوم الأولاد بالعمل فيه ساعات معينة بمعاونة اثنين من الفلاحين يحرثونه ويذرون به الحب ويسمدونه - ويتعهدونه بالسقاية والعناية وهكذا يحددون الفرصة لدراسة فن الزراعة بإشراف ناظرين الملمين بأصولها .

ثانيا - مصنع صغير به أنوال لنسج الأكلمة الصوفية والسجاجيد والأقمشة الشعبية وقد شاهدنا بهذا المصنع قطعا من السجاجيد البديعة الصنع وأقمشة قام الصغار بنسجها بأيديهم كما أطلعنا المعلم على تصميمات أدهشنا أنها من وضع الأولاد ومن مبتكراتهم .

ثالثا - فناء للدواجن به أنواع مختلفة من الطيور الممتازة يقوم الأولاد بتربيتها وبيع بيضها لسكان القرية رغبة فى تحسين الانتاج والاكتار من الأنواع المنتجة .

رابعا - منحل صغير يتكون من خليتين حديثتين تنتج الواحدة مائة رطل من العسل فى السنة ولا ريب فى أن تربية النحل من أفضل ما ينبغى أن يدرس ويعم بالريف. إذ يدر كسبا وفيرا ذون أية نفقة .

خامسا - حجرة لتربية دودة القز وبها جهاز بخارى لفك الشرائق .

سادسا - حجرة لصناعة الخيزران يجاورها مكان لصنع أثاث وأسوار من جريد النخل .

سابعا - معمل صغير للربيات والشراب والخضر المحفوظة .

وقد أمتلقت أنظارنا فى سير العمل بالمدرسة ثلاثة أمور :

(الأول) أن القائمين بأمرها جعلوا من التدريب العملى فرصة لتثبيت المعلومات النظرية ناهجين فى ذلك الطريقة المعروفة عند المشتغلين بالتربية بطريقة المشروع The Project Method إذ يعمدون الى تكليف الأولاد بقياس ووزن وكل المنتجات ثم سؤالهم عن مواطن إنتاج كل منها وتعريف هذه المواطن مما لا يدع مجالاً للنسيان ما تلقوه فى حجرات الدرس من معلومات .

(الثاني) تبث المدرسة الريفية في أبنائها روح التعاون والاقتصاد إذ نظمت بينهم جماعة تعاونية اكتب الأولاد بأسهمها وهم يتولون بأنفسهم شراء بعض منتجات المدرسة وبيعها للاجئين وحساب الربح وتوزيعه ورصده كل في دفتره الخاص .

(الثالث) أن المستوى النفاقي للأولاد رغم إشغال نصف يومهم بالزراعة والصناعة أرق بكثير من المستوى في المدارس الأولية ولا تكون مبالغين إذا قلنا أنه يفوق مستوى المدارس الابتدائية فلقد شاهدنا صغارا لا يتعدون السابعة يدرسون بعض ما يدرس في السنة الثالثة الابتدائية وقد كلفت بنفسي طفلا في السادسة اسمه الشاعر بحل مسألة تتضمن القواعد الحسابية الأربع فقام بحلها في سرعة وعناية .

ولم يشأ القائمون بأمر المدرسة أن تركهم قبل أن يطالعونا على بعض مظاهر النشاط المدرسي فبعد عرض رياضي لمسنا فيه أتم العناية بصحة الأولاد وروح النظام التي تبث فيهم بعد هذا انتقلنا الى الحقل حيث أمضينا بين هؤلاء الأبناء ساعة من أمتع الساعات وأسعدنا فيها كين زرع نبت بعناية الأولاد وازدهر بسقايتهم أطلعنا الصغار على صور أخاذه من صور الريف وأسمعونا ألحانا عذبة في التغنى بالريف وبالإنشادة بجماله وسعادة العيش فيه .

عند صاحب المشروع :

وفي كرمه هادئة في ضاحية الزيتون جلسنا الى الأستاذ محمد فريد أبو حديد صاحب مشروع المدرسة الريفية والذي رعاه وباشر تنفيذه والاشراف عليه الى عهد قريب ، جلسنا نستمع الى قصة ذلك المعهد الذي نرى فيه العمل المثالي الصالح للتعليم الشعبي بريف بلادنا قال : في عام ١٩٢٥ عقد المشتغلون بالتعليم في البلاد مؤتمرا للتعليم الأولي تناووا فيه مناقشة سياسة التعليم الأولي في البلاد وما ينبغي أن تقوم عليه ، وعلى الرغم من أجماع شهود المؤتمر على وجوب تغيير أسلوب التعليم الحاضر واقامة على أسس جديدة أسوة بما يفعله الغربيون الذين جعلوا من المدرسة الأولية معهدا يعد الصغير لحياة عملية تتفق مع البيئة التي نبت فيها على الرغم مما قيل في هذا المؤتمر الذي عقد قبل انشاء المدارس الإلزامية فقد قام التعليم الإلزامي على ذات النمط الساذج الذي قامت عليه كتابتنا القديمة والذي لا يهدف لغير غاية واحدة هي مكافحة الأمية لا أكثر ولا أقل .

وخصت الأستاذ قليلا ثم عاد يقول " وكان طبيعيا ألا تلقى هذه الخطة ارتياحا من رجال التعليم وخاصة من ألم منهم بأصول التربية الحديثة ووقف على ما تنتهجه الدول الغربية من

سبل موفقة في هذا الباب لذلك لقي التعليم الإلزامي نقدا مرها من المشتغلين بالتعليم ونوقشت سياسة التعليم في مقالات ومحاضرات وأبحاث عديدة وكان في مقدمة المعنيين بهذا رابطة التربية الحديثة ، وتابع الأستاذ فريد حديثه فقال :

”وفي عام ١٩٤٠ قامت الرابطة لمناسبة وجود المسيو بوفيه من علماء التربية في مصر قامت بعقد اجتماع كبير نوقشت فيه سياسة التعليم الشعبي وعرضت فيه لعدة أبحاث تشرفت بإعداد أحدها . ثم تقدم المجتمعون الى وزارة المعارف حينذاك برجاء إجراء تجربة للمدرسة الريفية في بعض المدارس الأولية غير أن هذا الطلب لم يجب .

واستوى أستاذنا الفاضل على مقعده ثم قال ”وصادف في ذلك الوقت أن عرض الدكتور كلياند على جمعية الدراسات الاجتماعية القيام بتجربة لنظام تعليمي شعبي جديد في قرية المنايل فأوكلت الجمعية الأمر لبعض رجال الرابطة الذين وجدوا في هذا العرض فرصة للقيام بمشروع المدرسة الريفية الذي تشرفت بإعداده وتوليت أمر تنفيذه والإشراف عليه حتى عهد قريب “

واختتم الأستاذ حديثه قائلا ”لقد فشلت تجربة التعليم الإلزامي بوضعه الحاضر ، وأصبح لزاما على البلد أن تفكر في أسلوب أنفع لتنشئة الجيل الجديد ، وها نحن تقدم في مدرسة المنايل مثالا عمليا في سبيل إعداد أبناء الشعب إعدادا يكفل لهم المقدرة على تحصيل القوت دون إهمال للثقافة العامة التي تعطيها المدرسة الأولية “

مشكلة التعليم الأولى في ضوء تجربة المنايل :

منذ خمس عشرة سنة استقدمت الحكومة المصرية خبيرا عالميا في شؤون التعليم وهو المسترمان ليضع للبلد سياسة تعليمية تقوم على نهج صالح . وقد قام الرجل بما طلب اليه . وقدم الى ولاية الأمور تقريرا وافيا اكتفى بنشره ثم طوى شأن غيره في سجلات الوزارة ومكتبات معاهدها .

وكان أول ما استلفت نظر المربي الانجليزي في بلادنا تضخم نفقات التعليم غير الأولى في تلك المعاهد العالية وغير العالية التي تخرج لنا كل عام جيشا من الموظفين لا تحتاج البلد الى أغليته ، أما التعليم الأولى وهو التعليم الشعبي ذو الأثر الفعال فنمايتنا به لا زالت قليلة وحسبنا أن نذكر ما قاله المسترمان في تقريره ”إن مصر تنفق جنيتين على التعميم المنتهى بالتعليم العالي مقابل جنيه واحد في التعليم الأولى بينما تنفق إنجلترا أربعة جنيهات في التعليم الأولى مقابل جنيه واحد في التعليم العالي بالرغم من اختلاف مركز مصر كقطر زراعي أحوج الى التعليم الأولى من إنجلترا ذات المجال الأوسع لاستغلال الثقافة العالية “

ومما يؤسف له حقا أننا مع تقصيرنا في تعميم التعليم الأتلى بالتفدر الذى ينبغى فأننا نبتغى فيه سياسة خاطئة إذ نحصر كل همنا فى مكافأة الأمية بواسطة المدرسة الأتلية دون أن نضع فى برنامجها ما يكفل تزويد الأولاد بثقافة عملية "مهنية" تنفعهم فى كسب عيشهم ، ذلك العيش الذى بات مشكلة الحصول عليه من أعقد المشكلات وأكبرها أثرا وخاصة فى بلادنا التى هبط فيها مستوى الحياة الى حد خطير .

يقول المسيو لوشاتليه فى كتابه عن السياسة التعليمية أن سر نجاح التربية الأمريكية راجع فى أكثره الى أنها قوت العلم بالعمل Instruction by Action — والواقع أننا إذا راجعنا طرق التربية الحديثة نجدها كله متجهة الى الاهتمام بالناحية العملية وحسبنا أن نشير الى ما كتبه رجال التربية وأعلامها منذ بداية القرن الثامن عشر أمثال جان جاك روسو وبستالوتزى وفروبل وهربارت وغيرهم وأن نرجع الى أساليب التربية العصرية فى كل معاهد العالم فالداكتور أوفيد دكولى Ovide Decroly يقيم طريقته المعروفة على أساس العمل المناسب للبيئة حتى يزود الصغير بالثقافة التى سيفيد بها فى حياته المستقبلية والتى تدور حول القوت وتحصيله وهيلين باركهوست جعلت من مدرستها التى شيدتها على طريقته المعروفة The Plan Dalton مجتمعاً مماثلاً للجمع القائم خارج أسوارها وجون ديوى Dewey صاحب طريقة المشروع يضع العمل المباشر أساساً للتعليم ويقيم فلسفته التربوية على أساس اجتماعى عملى .

يقول الأستاذ رافائيل راميرز من علماء التربية الأمريكين "إن مدارس اليوم لا تكتفى بتعليم القراءة والكتابة والحساب وإنما تقصد الى رفع الحياة الريفية الى مستوى أعلى تلك الحياة التى تقوم على الصحة والصلاحية لتأدية العمل المنتج " .

ويعطينا الأستاذ "ارنستو نلسون" مفتش التعليم بالأرجنتين صورة جديدة بالنقل لما يقوم عليه التعليم الأتلى فى بلاده إذ يقول : "لقد أصبح الاهتمام الأول بإعداد الأولاد للحياة وانتقلت الثقافة النظرية الى المكان الثانى فى مدارسنا نعلم الأولاد تحضير الزبيب من العنب والمربى والفاكهة المحفوظة ونعلمهم كيف يزرعون أشجار التوت ويربون دود القز ويفلجون البساتين وقد وفق الصغار الى غرس مائتى ألف شجرة عندنا عام ١٩٣٩ " .

ويحدثنا الأستاذ بول باربيه عن نظام التعليم الريئى فى فرنسا فيقول ، اتمد وجه أكبر جانب من العناية الى التربية الزراعية فى المدارس الابتدائية . فتشمل البرامج دروسا فى الزراعة وفلاحة البساتين وغرس الأشجار ودراسة الأسمدة وتربية الدواجن .

ويقول كاندل Kandel الأستاذ فى جامعة كولومبيا فى مقدمة الكتاب السنوى لتلك الجامعة "إذا صح القول أن عمل التربية الحديثة هو أن يلائم بين التعليم وبين مقدرة التلاميذ

واستعدادهم وأن يبنى نظمه على المحيط الذى يعيشون فيه وأن يزيد ويضيف إلى ثروة ذلك المحيط فإنه لا مباح من أن يستمد التعليم بالريف مادته من المحيط الريفى وأن يتلاءم معه . . .

وفى تقارير عن التعليم الريفى بالمانيا أن نحو ٧٠ فى المائة من مدارس ألمانيا الابتدائية هى مدارس ريفية وأن القصد الأول منها هو إعداد التلاميذ للحياة تدريجيا ، وقد وضع التقليد والتدريس النظرى فى المحل الثانى ومورد مواد التدريس مستمد من المحيط والبيئة .

وما لنا نذهب بعيدا . إن السودان ، السودان الذى يأتى بنا ويرى فى بلانا أسوة وقدوة ، قد سبقنا فى سياسته التعليمية ولم يعد يأخذ بسياسة " الكاتيب " التى نسميها بالمدارس الإلزامية أو الأولية ، وإنما اتجه إلى ما اتجه إليه الغرب وأخذ به ، وحسبنا أن نرجع إلى ذلك البحث القيم الذى نشره الدكتور الكردانى بك عن مدرسة نجحت الرضا وبه يطلعنا على صورة رائعة لبعض ما أصاب إخواننا السودانىون فى هذا السبيل من توفيق كبير

ثم إننا بسياستنا التعليمية فى واد العالم بأسره فى واد آخر ، إننا ننفق كل عام فى التعليم الأولى أو الإلزامى مبلغا يناهز المليونين من الجنيهات لا نصيب به غير قشور من مبادئ القراءة والكتابة وبصيص من المعرفة النظرية لا يفيد الصغير منها إلا تضجرا من حاله وميلا إلى التزعج إلى المدن يتزعج إليها هاجرا الريف . يهجره ويهجر الأرض لأنه لا يطبق البقاء على ما يقيم عليه أبوه الأمى من فقر وضيق ، ولو أننا عينا بتعليم الصغير مع القراءة والكتابة أصول الزراعة الناجحة وبعض الصناعات الزراعية التى تزيد من كسبه كما تفعل أمم الغرب وكما رأينا فى تجربة المنايل ، لو عينا بهذا لأحب فلاح المستقبل أرضه وتعلق بها وأفاد من خيرها فائدة تنهض بأسره وترفع مستواه الاجتماعى .

محمد عبد الكريم

العواطف الفاسدة سبب كل فساد في المجتمع

للاستاذ محمد أبو بكر إبراهيم

العوظف سلاح ذو حدين ، فكما تكون نافعة اذا كانت معتدلة ، كذلك تكون ضارة اذا جاوزت حد الاعتدال .

والفرد يسعد بعواطفه ويشقى بعواطفه ، والمجتمع يسعد اذا كانت عواطفه متجانسة مقترنة منسجمة ، ويشقى اذا كانت عواطفه متباينة مضطربة منطرفة . ذلك لأن العواطف الصالحة تدفع إلى العمل الصالح ، والعواطف الفاسدة تدفع إلى العمل الفاسد ، فهي أساس السلوك جميعا ، وأساس الأخلاق جميعا خيرا وشرها .

لو رأيت أمة ناشطة في صبر وحزم ، تعيش في سلام روحي ، وأمن اجتماعي ، واطمئنان نفسي ، وتعمل في جو هادي ، بنظام شامل ، واخلاص متبادل وعدالة عامة . فاعلم أن أساس هذا جميعه تلك العواطف الكريمة التي رسخت في نفوس أفرادها فكانت دعامة لكل خير ، وضرما لكل سعادة .

ولو رأيت قرية آمنة مطمئة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فاعلم أنها قرية قد سادت فيها العواطف الطيبة فانتظمت فيها الحياة انتظاما يدعو إلى الإعجاب . ولو وقع بصرك على شخص قد قويت شخصيته ، واطمأنت نفسه ، واتجه إلى البر والاحسان والخير في جميع حالاته ، فهو الفرد الذي جمع عواطف المحبة والمعروف والإيثار حتى صار قويا بربه وعطفه وعمله .

ولو رأيت أمة شقية فوضوية تعيش في هرج ومرج وتهدر في سلوكها وتصرفاتها إلى المستوى المنخفض فاعلم أنها أمة قد غلبت عليها عواطف الشر فتدهورت بها إلى الحضيض .

وهل سمعت بالقرية الظالم أهلها ، المشرفة على شفا الهلاك والفناء : إنها القرية التي انتشرت بين أبنائها عواطف الحرص والطامع والفدر والخذاع والظلم والبهتان . (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم أهلها مصاحون) .

ثم حل رأيت الأفراد الأوغاد وقد سقطت نفوسهم ، وساءت ظنونهم ، وتلوث أخلاقهم ؛ فلم يكن سلوكهم الانحراف في العمل ، وجفوة في القول . إنهم قد انطبعت نفوسهم بعواطف الخبث والحسة والشر . فعلى حسب العواطف يكون السلوك وتكون الأخلاق .

فمن الناس من غلبت عليه العاطفة الشهوية وتطرفت تطرفا أقصاها عن الاعتدال والحكمة فصار محبا لذاته الجسمية مقبلا عليها متجها إلى الدنيا بكلياته وجزئياته : يخشى أن يفوته شيء مما قد يستمتع به غيره من الناس . فتراه حريصا شديدا الحرص ، بخيلا شديدا البخل على المجتمع والمحتاجين ، وهو في الوقت نفسه مسرف كثير الإسراف في لذته الشخصية ومنفعته الذاتية : يبعد كل شيء فيه منفعة له وإن يكن حراما . ويقدر كل شيء فيه سرور لنفسه وإن يكن ضارا بالآخرين .

لأن هذه العاطفة الشهوية قد طاحت به في أودية الغرور وأبعدته عن أودية الحياة الفاضلة السعيدة .

ومن الناس من غلبت عليه العاطفة الغضبية حتى صار غضوبا ساخطا مؤذيا بلسانه ويده وقلمه ، يحاول البطش بمن هم دونه في المنزلة أو في القوة أو في الجاه أو في الحياة العملية : فيتكبر على المساكين ، ويلوى عنقه عن المحتاجين ، ويثني عطفه عن الناس أجمعين . هو لا يعف عن سغاف الأمور ، ولا يتورع عن الباطل والادعاء والزور .

يكون كالبركان الثائر الذي يطغى بناره ودخانته على ما يجاوره من المدن والقرى والسهول والقلاع والبقاع .

إن جاور أحدا أغضبه ، وإن عاشر أحدا أنصبه ، وإن صاحب أحدا حمل عليه مالا يطيق ، فهو كالسم القاتل والداء الياء ، والخطيب الفادح .

ومن الناس من غلبت عليه عاطفة الحسد والكرد لمجتمعه ، فيكره الناس ويكرهونه ، ويمقتهم ويمقتونه ، يودّ لو فنى العالم ليبقى هو وحده ، ويتمنى لو تزول المشروعات النافعة الاجتماعية ، وتذهب في الهواء فلا يكون للجمع منها نصيب ، يكره النفع للناس ليستأثر هو بالفخار والثمرات والأموال . وهذا منتهى الانحطاط في الأخلاق الاجتماعية .

وهيات أن يطيب عيش لهؤلاء الشهويين والغضبیین والحاقدين والحاسدين . إن ينالوا خيرا لأنفسهم ، وإن يعملوا خيرا لأمتهم ، فقد فسدت طبيعتهم ، وفسدت عقليتهم وضاعت حكمتهم فكانوا شرا على ذويهم وعلى وطنهم .

إن المصالحين والمجاهدين ورجال التربية والتعليم يعلنون دائما على ما يهذب الانفعالات والعواطف والوجدانات . ويرقيها ويضبطها ضبطا سليما حتى تخضع للعقل والضمير والقانون والشرع فتثمر عواطف جميلة ينشأ عنها السلوك الراقى والخلق المتين . حتى يطرب المرء للخالل الكريمة ، والشائمل النبيلة ، وتهزه الفضائل هزة الحب المخلص كما يقول المرحوم حافظ بك ابراهيم في الفضيلة :

إني انتطربنى الخلال كريمة طرب الغريب بأوبة وتلاق
ويهزنى ذكر المروءة والندى بين الشائمل هزة المشتاق

ذلك لأن هذه الانفعالات والعواطف التي خضعت للحكمة والعقل قد نشأ عنها الانسجام النفساني ، والتوازن بين القوى فتصبح النفس موطنا للفضيلة ومستودعا للخير ، فلا ظلم ولا عدوان ولا بغي ولا كفران وهذه هي العدالة والاعتدال والسعادة الروحية . أما إذا لم تخضع هذه الانفعالات خضوعا سليما حكما ، فإنها تتحكم في السلوك تحكما قاسيا سيئا .

فانفعال حب التملك مثلا قد يدفع الإنسان بقوة قاسرة إلى اقتناء الأموال من طرق غير مشروعة فيجذبه ويحذب عاطفته إلى السرقة والنصب والاحتيال ، وأكل أموال الناس بالباطل ، يحطّط ما يستطيع اختطافه ، ويقتنص ما يمكن اقتناصه ، إذا عاشر الناس عاشرهم ليعرف كيف يمتص دماءهم وكيف يظلمهم ويغتلس أموالهم . ولا يعاملهم إلا كما يعامل بقراته السمان : يطعمها ويستقيها لما يتربص من الربح فيها . ذلك بسبب أن هذه العاطفة قد تطرفت بصاحبها بفعلته أنانيا نهما شرها مؤثرا حياته على حياة مجتمعه ، معتزلا الفقراء والضعفاء ، لا يرى لهم حقا ولا يري لهم واجبا .

إن هذه العواطف الفاسدة تؤدي إلى تفكك المجتمع ، وتقطع أواصره فيفسد كل شيء فيه .

ويهزءون من الفضائل الاجتماعية لأنهم لا يعرفون مجتمعاً سوى ذوات نفوسهم ، ولا حياة سوى حياتهم إذا سمعوا فضيلة الإيثار ، وحب الغير والناس ، أصحوا آذانهم عما يسمعون كأن في آذانهم وقرا ، وكأن في قلوبهم خرا : لا يشاطرون مجتمعهم في سرائه وضرائه ، ولا يحسون كما يحس ، ولا يتألمون كما يتألم ، فهم منافقون مخادعون : يضيئون عليه بالجلود والسقاء ثم يهرولون إلى خيراتهم فيغتصبونها ويحاونها لأنفسهم .

هؤلاء هم الذين وصفهم شاعر سوريا "بقوله :

ضاع رأيي فيمن أرى حين أمست ألسن الناس لا تطيع القلوبا
نارة أحسب الحبيب بغيضا وزمانا أرى البغيض حيبا
يحسبون الجميل أسوأ صنع والسجايا المكلات عيوباً

ألا إن الفضائل كلها تنشأ من العواطف المهذبة الراقية والذائل كلها تنشأ من العواطف السافلة الجاححة ولن يصل الفرد والمجتمع إلى السعادة الخالدة إلا بالعواطف الشريفة النبيلة ما

محمد أبو بكر إبراهيم
المفتش بوزارة المعارف

النفاق الاجتماعي

للاستاذ عيسى متولى

لا يخلو مجتمعنا من أدواء تسربت جراثيمها في دمه ، ونفتت فيه سمومها ، فأضعفت قواه وصدعت من كيانه ، كما تسرب جراثيم الأمراض الى الديدان الصحيحة فتحطم بنائها وتذهب بنضرتها ، وتركها فريسة لمختلف العلل والأسقام .

والنفاق الاجتماعي أحد تلك الأدواء المتفشية في مجتمعنا ، فهذا شخص يلتصق في بشاشة مضطعة ، وقد ارتسمت على شفتيه بسمة صفراء ، ويؤكد لك وده وإخلاصه ، ويبالغ في وصف شوقه اليك وحنينه الى طاعتك ، ويعطيك من طرف لسانه حلاوة ، ثم يعانقك ويضمك الى صدره وبين حناياه قلب ينطوى على الحقد والبغضاء ، حتى اذا ماتواريت بعد هذه التحية الحارة التي استقبلك بها راح يرميك بمختلف التهم ، ويصمم كرامتك بأقبح الوصمات !

هؤلاء الذين يخادعون الناس ، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، منافقون ، تسربت سموم النفاق في دمائهم ، وجرت في عروقهم فأفسدت ضمائرهم ، وزينت لهم طريق الخداع والرياء ! .

ولعل أكثر الناس تعرضا لنفاق المنافقين هم الذين أتاهم الله بسطة في المال والجاه ، فزى هؤلاء المنافقين يلتفون حول صاحب الجاه ، يتوددون اليه بشتى الوسائل ، ويتسابقون الى كسب وده ورضائه ، ويفخرون بالتعريف والتقرب إليه ، ومشاركته المجاس أو الحديث يطأطون له الهامات ، ويحترمونه الاحترام كله ، ويقدمون رأيه ولا يعصون له أمرا .
واذا ما فقد الرجل جاهه وثراءه ، انفضوا من حوله وانصرفوا عنه ، بل وقلبوا له ظهر المحن وانقلب حبهم بغضا ، واحترامهم له ازدراء ، فاذا بالذى كان بالأمس القريب معقد الأمل ومعقل الرجاء مغموض مكروه . واذا بالذى كانت بحالسه بالأمس القريب مفخرة لقادحها متبوء لا يزور ولا يزار . واذا بالذى كان بالأمس القريب مقصد القاصدين وملاد المعوزين في عداد المنسيين لأنه فقد ثراءه ففقد رفقاءه ! ...

وأين المودات من صبية
كنحل يحن وأنت الزهر
قليلون عند امتناع القطاف
كثيرون عند رجاء الثمر

هؤلاء الذين يعرفون الناس في رخائهم ويسرهم ، وينفضون عنهم في ضيقهم وعسرهم منافقون ، لأنهم لا يحفظون ودا ، ولا يقدسون عهدا .

وهناك نوع آخر من النفاق نراه متفشيا في المصالح ودور الأعمال ، إذ يتزلف بعض الرؤس إلى رؤسائهم والايقاع بغيرهم ، فهم لا يتورعون عن اخلاق الأكاذيب ، ينسبون إلى بعض أقرانهم ممن تربطهم وإياهم رابطة الزمالة ، ليسيؤا سمعتهم عن رؤسائهم ، ويظهروا هم على أكتاف هؤلاء الأبرياء !

هذا الموظف الذي يأكل لحم أخيه ميتا ، وينال من كرامة زميل له في غيبته ، أو ينسب إليه ما هو برى منه منافق ، مشاء بنم ولو أن كل رئيس لم يعرف أمثال هؤلاء المنافقين أذنا واعية ، وألقى عليهم درسا في الفضيلة وكرم الخلق لما تنفث داء النفاق في المصالح إلى هذا الحد !

نعم إن علاج هذه الحالة في أيدي الرؤساء أنفسهم ، فلو أن كل رئيس حين يطرق بابُه فانسق بغيا يزجره ويؤنبه ، ويؤكد له أن الموظف لا يكسب رضاء رئيسه عن طريق النفاق والدس والايقاع بالأبرياء ، إنما يكسبه بإجاده لعمله الموكل إليه ، وإخلاصه في أداء واجبات وظيفته على الوجه الأكمل ، لأقلع هذا المنافق عن نفاقه ولما عاد إلى الدس والوضع والصيد في الماء العكر ، أما تغاضي الرؤساء عن هذا النفاق واستماعهم إلى الوشائيات والدسائس فهو العامل الأول على انتشار هذا الداء الأخلاقي الويل في مجتمعنا ، إذ يتماذى هؤلاء المنافقون المتعلقون في نفاقهم وتملقهم ؛ لأنهم يرونه طريقا سهلا إلى قلوب رؤسائهم .

ومن الناس من يتظاهر بالورع ، ويلبس مسوح التقوى ليتخذ من هذا المظهر وسيلة لقضاء حاجاته ومآربه . فكثيرا ما تروى لنا الصحف حوادث الاحتيال التي يرتكبها أمثال هؤلاء إذ يلتون في روع الناس أنهم من أولياء الله الصالحين ، وأن في مقدورهم أن يباركوا الناس وأموالهم ، فإذا ما وقع أحد البسطاء فريسة في شباكه سلبوه ماله ، شأنهم في ذلك شأن هؤلاء الدجالين الذين يدعون معرفة الغيب ومكنوناته ، ولا يعرف الغيب إلا الله ، ولا يطلع على غيبه أحدا .

يوهم هؤلاء الدجالون الناس أنهم يملكون مفاتيح الأمور ، وقضاء الحاجات ، وتذليل الصعب ، وشفاء المرضى ، لينبذوا أموالهم ومن عجب أن يجد هؤلاء الدجالون المنافقون من يتصدق مزاعمهم ، فيطرق بابهم طالبا قضاء حاجة ، أو مستفسرا عن شأن من شؤون مستقبله .

ومن بين هؤلاء المتسولين الذين يعترضون طريقنا في الغدو والرواح منافقون ، لأنهم يتظاهرون بالحاجة ، ويتفتنون في الظهور أمانا بظهور العاجزين عن العمل ليستندوا عطفنا واشفاقنا ، فمنهم من يصور لك أنه مقعد ، وما هو بمقعد ومنهم من يتعاطى وما هو باعمر . وهذا لون مضيع من ألوان النفاق ، والواقع أن هؤلاء المتسولين استمروا حياة التسول ، التي حبت إليهم الكسل والخمول ، والتعود عن السعي وراء الرزق !

ويلعب النفاق دورا خطيرا في دنيا الحب ، ولهذا النفاق الكثير من الضحايا فهذا شاب يرتل في أذن فتاته الكلمات الممسولة ، والوعود البراقة ، ويعدها ويمنيها وما يعدها الاغرورا ثم ينتقض عهده ، ويترك فريسته ملطخة بالعار .

فلنبذر كل فتاة من هذه الحلوى المسمومة التي يعرضها عليها الشباب المنافقون الذين يزعمون للمذارى طريق الفساد ويفرشونه بالورود .

وبلغ من جرأة بعض الأفراد أن زين لهم النفاق العيث بجرمة الأديان واتخاذها وسيلة لأغراضهم ، ومطية لمآربهم ، فيحدث أحيانا أن يعتمد بعضهم الى التظاهر باعتناق دين غير دينه ، لاحبا في هذا الدين الذي اعتنقه ، بل ليتحرر من قيود دينه فيتخلص من زوجة لا يجد طريقا الى التخلص منها ، أو لغرض في نفسه ، فكأن الدين في نظر هؤلاء العابثين ثوب يلبس ويخاع متى شاء صاحبه .

هؤلاء الذين يعيثون بجرمة الأديان ينافقون لأنهم يخادعون الناس و يمحالون عليهم ، ويضلونهم ألساء ما يبررون :

ونستطيع أن نفهم إسرافنا في التزين والتجمل بأنه لون من ألوان النفاق الاجتماعي لأننا حين نسرف في التأنق والتجمل إنما نريد أن نخفى عن أبصارهم عيوبنا لا نريد أن تقع عليها أعينهم .

فهذه السيدة التي تقدمت بها السنون واشتعل منها الرأس شيئا تأتي أن يدرك الناس شيخوختها ، فتعتمد على مختلف المساحيق والأصباغ تغييرها من لون شعرها وتحيله الى لون آخر ، لأنها تعتقد أن الشيب إحدى أمارات الشيخوخة التي تبغضها البعض كله .

كما أن إسراف بعض الناس في مظاهر حياتهم ، كقائمة الأفراح والمآتم يعتبر لون من ألوان النفاق ، لأنهم يريدون أن يظهروا أمام الناس بمظهر الغنى واليسار ولو اضطرم ذلك الى الاستدانة ، وهكذا يدفع النفاق بكثير من الناس الى طريق شائك لا تتجد عقباه .

نموذج لأندية العمال

لم تعد أندية العمال في البلاد الصناعية أمكنة لترجية الفراغ ؛ بل ارتقت إلى أن تكون أمكنة لإعداد وتهذيب عقلي وخلقى وصحى وعمل. ففي النادى يجتهد العامل فوق الرياضة المفيدة والتسلية البريئة ، دراسة علمية وتوجيها خلقيا وتدريباً عمليا وبهذا يصبح النادى ملهى ومدرسة ومصححة ويعوض على العامل الذى اضطرتته مطالب الحياة لعدم استكمال الثقافة والمراية ما فاتة ؛ وبهيئه لمستقبل أفضل بينما هو يعمل ويكسب ويقتات .

وزارة الشؤون الاجتماعية تحاول أن تبث هذه الروح ، فهى تشجع كل التشجيع إنشاء نوادى العمال ، وساحات الرياضة العامة ، والنقابات التى تساعد على إنشاء النوادى ، وقد فكرت أخيرا فى إنشاء جامعة شعبية تنبث فروعها فى النوادى .

فنجب أن نضع بين يدى الوزارة أنموذجا كاملا لنوادى العمال ، تتجاوز منطقة التفكير الى منطقة التنفيذ ، ولم يعدة شروعا يرسم فى الخيال ، بل أصبح حقيقة واقعة فى عالم العيان وذلك هو نادى عمال شركة مصر لنسج الحرير بمجلوان .

افتتح هذا النادى بمجلوان فى ٤ مايو سنة ١٩٤١ وبلغ عدد أعضائه نحو ثلثائة عامل ، ثلثهم فى العقد الرابع ، وثلثهم فى العقد الثالث ، وثلثهم فى العقد الثانى . وقد قسم الى عدة صراقيات :

فمراقبة الرياضة البدنية تغنى عناية كاملة بأعداد العمال من الناحية الصحية . وقد مهدت لهم الملاعب وزودتهم بالمدرسين المتمازين وأشركتهم فى مباريات متنوعة لعدد من اللعيات وفى خلال عامين تمكنت من إعداد نصف الأعضاء إعدادا رياضيا غير من حالتهم الصحية والنفسية تغيرا واضحا .

ومراقبة الثقافة تتولى تعليم الأميين من العمال ، وقد اعترمت أن تجعل التعليم إجباريا للعمال ضمن نظام العمل بتخصيص بعض وقت العمال للعلم . مع نشر الروح الثقافية بتنظيم المحاضرات والمناظرات المختلفة ، وإصدار مجلة شهرية يشترك فى تحريرها الاعضاء و يقرؤها كذلك الأعضاء . وقد تم لهذه المراقبة إعداد مكتبة بها عدد كبير من الكتب فى مختلف العلوم والفنون .

ومراقبة الرحلات وهى تلتهم فرصة العطلات الأسبوعية والرسمية لتنظم للأعضاء رحلات متنوعة الى أماكن وبلدان مختلفة فيتزودون بالمعرفة ويقضون عطلة منتشطة .

ومراقبة الحفلات تساعد مساعدة جديدة في الترفيه عن الاعضاء بشتى أنواع السمر والتسلية ، ولم تقصر جهودها على الحفلات المسرحية بل أضافت إليها العناية بالموسيقى ، وكان لهذا أثره العميق في روح العمال .

ومراقبة التعاون تهتم بتهيئة أسباب المعيشة للأعضاء ، فتدير « الكانتين » وتوفر المنسوجات والملابس والضروريات اللازمة لهم بأسعار الجلمة وعلى أقساط . وقد أتمت إعداد الطابق العلوى بالدار التى يشغلها النادى . وتجهيزه بالأثاث ليكون مسكنا للغرباء عن حلوان من العمال والموظفين .

وأهتمت إدارة النادى بعلاج الأعضاء من الأمراض المختلفة بمعرفة الأطباء الاختصاصيين وهى تنوى إعداد عيادة دائمة للأمراض المتوطنة .

ومما يذكر أن الشركة قد ساهمت في هذه الحركة مساهمة مادية تشكر ، كما قامت بالتسهيلات التى يتطلبها نجاح جهود النادى . ومن أمثلة ذلك أن تسمح إدارة المصنع بانصراف العمال الذين يتلقون دروسا فى القراءة والكتابة أو تدريبا رياضيا وموسيقيا ويبلغ عددهم ٨٠ عاملا ، قبل الميعاد المقرر بنصف ساعة ، وأن تتكفل الشركة بنقلهم من المصنع الى النادى ومن النادى الى مناطق سكنهم ، يهرباتها ، وأن يتناولوا الطعام على نفقة النادى فى أيام التدريب .

وقد تجملت الشركة فى هذا نفقات بلغت ٦٠٠ جنيه فى العام . أى إن العامل الواحد قد تكلف جنيهين اثنين . ولكن ما ذا كانت النتيجة ؟

ان شاء شاهدنا الحلقة السنوية لهذا النادى ، كما اطلعنا على مكتبته وعلى نظام الدراسة والتدريب فيه . وعلى حالة العمال فى مراحلهم المختلفة .

وخلاصة ما نستطيع أن نقوله إن النادى قد خلق هؤلاء العمال خلقا جديدا . وكأنه اشترى بكل جنيهين مخلوقا إنسانيا فى شكله ومشيته وطريقة حديثه ومعلوماته وأخلاقه . ولسنا نشك فى أن الشركة قد استفادت من ارتفاع مستوى هؤلاء العمال أضعاف ما أنفقت عليهم ، تقانا فى العمل وأمانة وحسن سلوك .

وقد ألقى سكرتير النادى الموظف بالشركة كلمة فى المهرجان الثانى نفتطف منها فقرة مختصرة تشرح هذه النقطة .

” لا ريب أن فى هذه الحركة الرياضية والاجتماعية الأثر الملموس فى العمل وفى العامل . ففى العمل انكشئت نسبة الجزاءات والعقوبات والفصل . وأصبح العامل مقبلا على عمله

في لذة ورغبة وصار الجميع ينارون على سلامة الإنتاج . وعلى ضوء التجربة تؤكد أنه ما من قوة تستطيع أن تكفل التضامن والولاء بين العمال والموظفين والرؤساء وأصحاب العمل قدر ما يكفله بث الروح الرياضية وأبناء الإخاء الاجتماعى بين الجميع مهما تطلب ذلك من جهود وأموال .

ومن الإنصاف أن نذكر أن التقود وحدها لم تخلق هذه الحركة ، وإنما كانت وسيلة فقط لتحقيق الأهداف التي دفعت إليها الغيرة والحماسة وحب الخدمة الاجتماعية في نفوس موظفى المصنع نحو عماله . وإنما لروح عالية تجلت في مدير المصنع وموظفيه جميعا ، فجعلتهم يتطوعون لهذه الخدمة في سرور واندفاع .

وهذه الروح من جانب الموظفين ، وهذا التشجيع من جانب الشركة صاحبة العمل . على رأسها مديرها (وهو رئيس شرف النادى) كانا الدعامين اللذين قام عليهما هذا النادى النموذجى الذى تسرع خطاه نحو الكمال .

ولم تخسر الشركة شيئا فيا أنفقت بل كسبت ولا شك . وهذه هى الحقيقة التى يجب وأن يشعر بها أصحاب العمل تجاه عمالهم وتجاه مصانعهم . فالعامل المستريح المتفتح النفس الصحيح الجسم ، المثقف العقل ، المهذب الخلق ، يستطيع أن يعوض صاحب العمل من كل ما ينفقه فى إنشاء مثل هذا النادى النموذجى .

ولا تختم هذه الكلمة قبل أن نذكر ظاهرة لطيفة ، وهى أن هؤلاء العمال الفقراء تهودوا بعد ما سرت فيهم روح النادى الخيرية أن يطعموا الفقراء فى مناسبات . وكان ضيوفهم فى إحدى هذه المناسبات خمسمائة فقير من العزب المحيطة بملوان فكان مظاهرا جملا أن يتناول الفقراء الطعام على مائدة الفقراء .

تسعيرة العلم ليست لمصلحة الجامعيين

ولا للمصلحة العامة

للاستاذ عريان يوسف سعد

كانت الحكومة أيام ندره المتعلمين تستخدم كل من يحصل على شهادة دراسية ، وكانت مضطرة في ذلك الوقت إلى وضع سعر لكل شهادة .

أما الآن فانها تجد لكل وظيفة تخلو طلابا من مختلف الثقافات ، فاصبح من الضروري الإقلاع عن تسعيرة الشهادات وتقدير أجر لكل وظيفة على أن يختار لها أحسن المتقدمين . وأزيد بهذا المقال أن أشير إلى أضرار تسعيرة الشهادات بحملة الدرجات العلمية وإلى أضرارها بالمصلحة العامة .

أما أضرارها بحملة الدرجات العلمية فستور تحت نقاب تقدير أصحاب تلك المؤهلات إذ يقال إنه إهدار لكرامتهم أن يكونوا موظفين مؤقتين أو في الوظائف الكتابية الصغرى التي لا يتفق عملها وما حصلوا من علوم ، وهذا قول ظاهره حق ولكن ثقله على مختلف وجوهه سيظهر ما فيه من ضرر .

لقد نما التعلم الجامعي في السنين الأخيرة حتى كثر من أتمه من الشبان وزادوا على حاجة الوظائف التي تؤهلهم درجاتهم العلمية الرفيعة لتوليها .

وهذه جامعة فاروق الأول قد أنشئت فلا تمضي أعوام قليلة حتى يقف خريجوها على أبواب معترك الحياة بجانب إخوانهم خريجي جامعة فؤاد الأول ، ولقد بدأ الحديث عن إنشاء جامعة ثالثة في عاصمة الصعيد وإن كان ذلك الحديث لا يزال همسا في دوائر ضيقة ولكنه سوف لا يبقى حديثا بل سيصبح مشروعا ثم يصبح المشروع حقيقة واقعة ، وإذا خريجوا الجامعة الثالثة يقفون على أبواب معترك الحياة بجانب إخوانهم خريجي الجامعتين .

أما من ينصرف من هؤلاء جميعا إلى الأعمال الحرة في مختلف نواحيها فاهم من كل احترام وإجلال وتقدير ، لأنهم سيكونون طلائع الاستقلال الاقتصادي الوطني .

وأما من يولى وجهه شطر وظائف الحكومة ، وأخشى أن يكونوا الكثرة من حملة درجات الجامعة ، فإنهم الذين تعينهم هذه الكلمة .

من هؤلاء من سوف يشغل وظائف الحكومة التي جعلت لها مرتبات ودرجات تناسب الجامعيين ، ولكن هؤلاء سيكونون قلة ضئيلة وهم الآن فعلا قلة ضئيلة ، فإنك تجد خريجي كلية الحقوق مثلا مائتين في العام أو أكثر ، ولا تتسع وظائف النيابة التي تخلو في العام وما يماثلها لأكثر من عشرة أو عشرين منهم على أكثر تقدير ويتمس الباقون ما يخلو من وظائف إدارية أو كتابية في مختلف الدواوين وكذلك خريجو سائر الكليات .

ومن هؤلاء الخريجين من تحتم عليه ظروفه أو ظروف طارئة أن يكسب قوته لأن عائلته مات أو ضاعت ثروته أو لأن له من الأولاد غير هذا الذي أتم دراسته .
هذا المضطر لكسب العيش سيطرق أبوابا كانت تفتح لأمثاله من قبل أما اليوم فقد أوصدت .

هذا المضطر إن لم يجد وظيفة باليومية أو في الدرجة التاسعة يود يجده الأنف لو عين فيها حتى يسد حاجته ، ولكنه لن يجد لشغلها سبيلا ، لأنها لا تليق بكرامة الدرجة العلمية التي حصل عليها فكان العلم الذي سهر الليالي في تحصيله أصبح حائلا بينه وبين رزق ضئيل حقا ولكنه خير من لا شيء على أى حال .

هذا المضطر وأمثاله وربما كانوا كثيرين يضيره ويضيرهم أكبر الضير أن يحرموا من هذه الوظائف الصغيرة وأريد أن لا يتقدم له ولهم ناصح يقول لهم عليكم بالعمل الحر فانه وأصحابه ليسوا من الفريق الذي تمهد لهم الظروف العمل الحر فقد بينت في أول الكلمة أن للعمل الحر فريقا آخر .

هذا المضطر الذي يحرم من الوظائف الصغيرة بسبب علمه الذي ألقى شبايه في تحصيله ليس أمامه إلا أن ينكر هذه الدرجة العلمية وأن يتنكر لها وأن يتقدم لتلك الوظيفة الضئيلة على أنه لا يحمل إلا الثقافة حتى لا يحرم من الحصول عليها إن تقدم بدرجة الجامعة وله كل الحق أن يشغل وظيفة لا يكسب منها سوى خمسة جنيهات في الشهر لأنه لا يجد وظيفة تدر عليه أكثر من ذلك .

فأى شيء عليه ؟

ومن يدرى لعل جامعا يريد الحصول على الوظيفة الصغيرة ذات المرتب الضئيل لا يحصر على أن يدعى أنه ليس بجامعي ولا يحصر أن يتقدم لنيل تلك الوظيفة بغير الثقافة مثلا لأنه يخشى أن يفسر عمله بأنه تزوير في أوراق رسمية .

ولماذا كل ذلك ؟ ! أنها تسعيرة الشهادات جعلت لدرجته العلمية سعرا أعلى من أجر تلك الوظيفة وحرمت عليه أن ينال ذلك الأجر ولو كان في أشد الحاجة إليه .

لعل أوضح الضرر الذي يلحق بالجامعي من تحديد درجة معينة وأجر معين للدرجة العلمية التي تمنحها الجامعة بدل أن يجعل أجر معين لعمل معين يمنح لمن يرضى أن يؤدي ذلك العمل فان وجد أكثر من طالب لذلك العمل ولله أحسن من يتقدم له علما وكفاية وأعلامهم ثقافة .

بقي بعد هذا أن أوضح الضرر الذي يلحق المصلحة العامة من تسعيرة الدرجات العلمية ، سيكون من يمين في الوظائف التي يقال انها لا تليق بكرامة حملة الدرجات العلمية العليا من بين أنصاف المعلمين ولست بحاجة الى كثير من القول لأظهر أن المصلحة العامة تكون أكثر أمنا وصونا في أيدي ذوي المؤهلات العالية الذين يجدون في أجر الوظائف الصغيرة ما يسد

حاجتهم فيرضون بها ويكتفون بأجرها وأنت ترى من غير شك أن الموظف الصغير يكون أكثر تقديرا للواجب ان كان متعلما وأكثر حرصا على المصلحة العامة فان له من ثقافته وعلمه وفضله ما يجعله يقدر الأمانة التي تلقى على عاتقه خيرا ممن يقل عنه علما وفضلا .

وبعد فاية . مصلحة البلاد في أن تأخذ موظفيها الصغار من بين غير المثقفين إن استطاعت أن تجدهم بين المثقفين الجامعين ؟

ليس لعلاج هذه الحالة الا طريق واحد هو الغاء تسعيرة العلم و ربط الأجر بالوظيفة نفسها لا بمؤهلات من يتقدم لها فاذا فرضنا أن خلت وظيفة كاتب أجرها ستة جنيهات وتقدم لها دكتور في الآداب وتقدم لها حاصل على الثقافة أليس الأفضل أن نعين فيها الأديب بدل ان نغفله أو نظرده بعبارة اصح قائلين له يا دكتور هذا عمل لا يليق بكرامة الدكتوراه ثم نعين فيها حامل الثقافة .

مادام العلم قد انتشر وما دام العلماء يرضون بقليل الأجر وصغير الوظائف تحت تأثير ظروف الحياة فليس من المصلحة العامة في شيء أن نعيهم عن تلك الوظائف وليس من مصلحتهم هم أيضا أن نأبأها عليهم لأنها أقل من مستوى كرامة درجاتهم فإنهم بها راضون وهي خير من البطالة على أى حال .

ولكن اباحة تعيين أصحاب الثقافة العالية في الوظائف الصغيرة ان اضطروا لقبولها يجب أن يسبقه الغاء السعر المحدد للدرجات العلمية والا كان أمام الدولة مشكلة لانهاية لها ولا آخر ، ولا قبل لقدرة الدولة المالية باحتمال آثارها .

تلك المشكلة هي طلبات المساواة التي يتقدم بها أصحاب الدرجات العلمية الذين يشغلون وظائف صغيرة إذ يرون من الغبن أن يتناولوا من الدولة أجورا أقل من الأجور التي حددتها نظام الوظائف (الكادر) لدرجاتهم ولهم الحق مادام سعر الدرجات العلمية قائما أن يطلبوا ذلك السعر لدرجاتهم فلا معنى لحرماتهم من أجر مقرر لدرجة علمية يحملونها .

ومن هنا نرى كل يوم طلبا لفئة من حملة الشهادات يطلبون مساواتهم بزملائهم فاذا ما ألغى سعر الشهادات انقطع سبيل هذه الطلبات فلا يجد موظف في الشهادة التي يحملها سببا لرفع راتبه مادام في وظيفة أجرها محدد وقد رضى به إلا إذا رقى إلى وظيفة أعلى .

ليس في هذا استغلال حاجة حامل الشهادة إنما هو الذي يجب أن تسير عليه الدولة فلا تدفع أجر عمل أكثر مما يستحقه ذلك العمل بحجة أن القائم به يحمل شهادة عالية والواصل الحال بالدولة إلى جعل أجر أقل الأعمال مساويا لأجلها فيصنح راتب كاتب صغير أو مساعد ميكانيكي مساويا لراتب وكيل نيابة أو مهندس لأن كلا منهم يحمل درجة عالية كالأخر .

عريان يوسف سعد

ملاحظات عابرة :

جائزة الترجمة — طبعة مدرسية — الحياة في دروس المطالعة والإنشاء
الورقيات الهزيلة

(١)

نشرت لجنة الأدب بجمع فؤاد الأول للغة العربية أن صاحب العزة الأستاذ أنطون بك الجليل عضو المجمع خفص نحسين جنيها جائزة لمن يضع أحسن رسالة في "دراسة حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر".

والإهتمام بحركة الترجمة في هذه الفترة أمر مرغوب فيه ، لأنه قد يكون حافزا على تنظيم هذه الحركة منذ الآن ، والسير بها الى المستوى الواجب لأمة ناهضة تخلقت عن الركب العالمي مئات السنين ، ثم امتنعت فإذا المكتبة العربية تتخلف عن متابعة الركب العالمي في جميع فنون العلم والثقافة .

والترجمة هي الخطوة الأولى التي كان يتحتم على هذه الأمة أن تخطوها وأن تنظمها تنظيما كاملا ، حتى تنقل إلى المكتبة العربية أهم ما فاتها من عناصر الثقافة ، وحتى لا تضطر إلى تعلم اللغات الأجنبية في جميع مراحل التعليم ، لتلاحق بهذه اللغات خطوات الثقافة العالمية ، التي كان يجب أن تجدها في لغتها الأصلية كما تصنع جميع الشعوب .

ولقد نشأ عن فقر المكتبة العربية في العلوم والفنون الحديثة أن ألوا من المتعلمين لا يجيدون في لغتهم ما يفهمهم عن اللغات الأخرى ، وأن جميع أطفالنا في المدارس الابتدائية يدرسون لغة أجنبية بجانب اللغة القومية ، فلا يجيدون الوقت الكافي لتعلم هذه ولا تلك ، ويخرجون من المدارس ضعافا في جميع اللغات بسبب تراحمها في مرحلة واحدة .

فإذا نحن عينا بالترجمة ورسمنا لها سياسة معلومة لعدد معين من السنين ، وامتلات المكتبة العربية بكتب العلم والفن والثقافة باللغة القومية أمكن أن نقصد في الوقت الضائع الذي نعلم فيه جميع أبنائنا لغة أجنبية تعطل عليهم إتقان لغة بلادهم ولغة سواهم جميعا !

وجميع الأمم الناهضة تفعل هذا فتقل إلى لغتها أهم ما في اللغات الأخرى ، وتفتح المجال لدراسة لغتها القومية ولا تعلم اللغة الأجنبية إلا لفريق من أبنائها يتخصصون في السلك السياسي والقنصلي والتجاري أو في الترجمة والنقل .

ووزارة المعارف تستطيع أن تنظم حركة كاملة للترجمة على هذا الأساس ، بحيث تكون المكتبة العربية غنية بالمنقول إليها من جميع لغات العالم في مدى عشر سنوات أو عشرين مثلا ، ولا تتكلف في هذا إلا مبالغ يسيرة محدودة ، تشتري بها ثقافة العالم في قرن من الزمان !

وإن أغنياءنا المثقفين يستطيعون أن يساهموا في هذه الحركة العلمية و يقرنوا أسماءهم إليها فتخلد هذه الأسماء كما خلدت أسماء الملوك والأمراء وأصحاب النفوذ التي حفظها التاريخ مقرونة إلى تشجيع العلوم والفنون في جميع العصور .

وجائزة أنطون بك الجليل نموذج لما يكون عليه التشجيع في هذا المجال .

(٢)

وعلى ذكر الترجمة والثقافة نذكر حركة القراءة في هذه الأيام ، وهي ظاهرة تبشر بالخير ، فلقد كان كسل القراءة في مصر مبعث شكوى الأدباء والمثقفين على النهضة العقلية في مصر من الخمود ؛ والشعب الذي لا يقرأ كالفردي الذي لا يقرأ مصيره إلى الانكماش والجمود .

ولعلنا نعلم المتعلمين المصريين حين نأخذ عليهم عدم الميل إلى القراءة . في حين أننا قتلنا هذا الميل في نفوسهم منذ أن كانوا أطفالا في المدارس . وذلك بالكتب المملة السقيمة التي نقدمها لهم ليتلقوا فيها دروسهم ، وهي خالية من كل ما يشوق ويحبب القراءة إلى التلاميذ . إنها كتب جافة سقيمة طبعها خال من الجاذبية وموضوعاتها بعيدة عن عالم التلميذ ، ونظامها يدعو إلى السأم والملالة ، وإلى كراهية القراءة وإلى الففور من العلم إلا لضرورة الامتحان .

ومما يذكر أن بعض الكتب العامة التي خصصت للتلاميذ كان أصحابها قد طبعوها طبعة جميلة جذابة ، فلما قررت على التلاميذ طبعت " طبعة مدرسية " أي طبعة ثقيلة الظل ، آتية الشكل ، لا جاذبية فيها ولا فن ولا ذوق وبذلك تنف هذه " الطبعة المدرسية " بين التلاميذ وبين القراءة .

وكلمة مدرسية كافية لتفهم منها أن الكتاب صار مملا في شكله يبدو عليه الوقار والتحفظ وينتفى عنه كل جمال وجاذبية ، كأنه حرام أن يكون شكل الكتب المدرسية جميلا جذابا .

وشكل الكتاب وجاذبيته وما يحويه من صور ومن نقوش وزخارف ذو شأن كبير في استلقات نظر التلميذ الصغير وتحبيب القراءة إلى نفسه ، وهذا الميل هو الذي ينمو فيجعله قارئا في المستقبل أو يضعف ويقتل فيصعب نأفرا من القراءة والاطلاع كشبابنا المصريين .

ففسى أن تتغير هذه الخطة وتصبح كلمة " طبعة مدرسية " دليلا على أناقة الكتاب وجماله وجاذبيته ، حتى نخرج جيلا محبا للقراءة والاطلاع ، غير الجليل الذي قتلنا فيه كل ميل إلى رؤية الكتاب الثقيل .

(٣)

وبمناسبة الحديث عن القراءة والاطلاع نذكر أن هناك عائقا آخر عنهما في خطة الدراسة فيجب أن لا نغنى بعمل دروس المطالعة ودروس الانشاء قطعا من الحياة النابضة المحيطة بالتلميذ ، حتى نوقظ في نفوسهم الاهتمام بها ، والشغور بأنها جزء من حياتهم وأنهم محتاجون إليه في هذه الحياة .

ذلك أننا نترك وقائع الحياة كلها، وما يهم التلاميذ ويهم المجتمع ، لنلجأ إلى موضوعات تعليمية أو خيالية نخشوها كتب المطالعة وندير عليها دروس الإنشاء، فيركز في نفس التلميذ أن هذه الدروس إنما هي للمدرسة وللامتحان فقط ، ولا علاقة لها بالحياة التي يعيشها في خارج المدرسة .

وإن جميع الدروس في المدرسة لتتشارك في هذه الغلطة ، غلطة الفصل بين المدرسة والحياة ، وبين الدرس والواقع ، فتزدوج حياة التلميذ : شطر منها للمدرسة وشطر منها للعالم ولا جامعة بين الشطرين . ويخسر الولد بهذا الوضع كل ما قضاه في المدرسة من سنوات عزيزة .

ولكن دروس المطالعة ودروس الإنشاء تزيد في البعد عن الحياة واجتناب كل ما فيها ، تعنى بما لا يقع في عالم التلميذ ولا يتفق مع بيئته ولا مع خياله ولا مع اهتمامه . وينشأ عن هذا أن يكره التلميذ هذه الدروس ويكره معها الأدب والاطلاع ، ويكره كل ما يذكره بدروس الإنشاء التي هي كلام في كلام .

(٤)

وبينما تقع الجفوة بين المتعلمين وبين الاطلاع الجدى ، نراهم يتهافون على الوريقات الهزيلة سواء كانت مجلات هازلة أو روايات هابطة أو كتباً مستهترة ويحسد أصحاب هذه المجلات والروايات والكتب أنهم يربحون ، فيزيدون في استئثار غرائز الجمهور المنحطة بحجة أنهم يصورون البيئة .

واستئثار الغرائز عملية رابحة سواء أكانت عن طريق النشر والتصوير أم عن أى طريق آخر من أحط الطرق في الحياة . فإذا جاز لمن يسلك هذه الطرق المنحطة أن يحتج بأنه يجد " زباين " فإنه لا يجوز لمن يسجرون أقلامهم في هذا الدنس القذر أن يحتجوا بهذه الحججة الواهية .

الجمهور في كل زمان ومكان يستجيب لمن يستثير أسفل غرائزه وشهواته ، ولكن هذا لا يجعل من يثيرون هذه الغرائز معذورين أو محترمين . والتحريض على الفسق في الطريق العام جريمة يعاقب عليها القانون . فماذا يصنع كثير من المجلات والكتب في هذه الأيام إلا أن يرتكب هذه الجريمة ثم يحاول أن يعتذر عنها بأن هذا هو طاب الجمهور .

الجمهور دائماً على استعداد أن يقبل على هذا الدنس ، فهل يبيع إنسان لضميره إذن أن يلجأ هذا الاستعداد ، وأن يتخلص من كل لوم أو عتاب بأن هذا هو طلب الجمهور ؟

وإذا كان هؤلاء المستربحون القذرون يمدون الرمح فيما ينشرون ، أفلا يجب أن تصاب أخلاق الشعب من هذا الاسترباح الذميم ؟

ترك ذلك للجنة المحافظة على الآداب ونرجو أن يكون لها قرار حاسم ضد هؤلاء المستربحين .

ثمن الشهرة ”عن الانجليزية“

كان ذلك عقب تخرجنا من الكلية ، عند ما دعوت إلى منزلي زميلتي ”إينا الدرج“ و”جفر باورز“ ، وساقنا الحديث إلى المستقبل ، وكان الكلام عنه طبيعياً فقد تعودنا أن نبحث الموضوع قبل أن تبدأه أى واحدة منا ، وكانت نشأتنا في قرية ”وستورلاند“ الهادئة تجمع بين عواطفنا وقلوبنا ، وكانت الواحدة منا تنتمي لمجموعتنا مثل ما تنتمي لنفسها ، وكان مجرد فكرة انفصالنا بحكم ظروف المستقبل تثير في أنفسنا ألماً دفيناً ، وحرناً عميقاً .

”لندن“ . . . انطلقت هذه الكلمة من فم ”إينا“ في شيء من المرح والشوق والتمنى ثم قالت : يا لها من مدينة رائعة . . . لقد كدت أطيح فرحاً حينما وعدتني غمتي بقضاء عام عندها في لندن . . . ، إنني أتخيل الحفلات العاصرة والنوادي الليلية والمسارح الفخمة حيث تعج بكثيرون من الرجال . الرجال الأغنياء ، سأتزوج أحدهم وسوف يتلأأ اسمي في النوادي الاجتماعية . وسأقتني المجوهرات النفيسة والغراء الفاخر ، وأحيط نفسي بجيش من الخدم والحشم .

وبخانة قفزت زميلتنا ”جفر“ من مقعدها قائلة وهي تتخذ سمات الجذ : أما أنا فلسوف أصبح أغنم ممثلة عرفت المسرح ، وفي يوم ما ستقولين يا ”إينا“ لزوجك الثرى ”إني أعرف النجمة الساطعة ”جفر باورز“ . ثم اتجهت نحو المرأة رافعة رأسها مزدهية بشعرها الأحمر الفاتح الذي يحيط برأسها ويزيدها فتنة وحلاوة ، وقد تألقت عيناها الخضراوان وكأنما سبحتا في سماء المستقبل اللازوردية . ثم قالت في تأكيد ”سأكون نجمة متألقة“ . ثم مالت لتتناول قطعة من الحلوى واستطردت قائلة وهي تنظر إلى : أما أنت يادودي فاعساك تنوين عمله ؟ . فأجبت قائلة : ليست لي عمة مثرية مثل إينا ، ولست أملك المواجه التي تؤهلني لأن أصبح نجمة متألقة مثلك ، فليس أمامي إذن سوى المكث هنا وتلهفي على ما قد ترسلانه لي من رسائل . وعند ما تبلفان ذروة الشهرة والمجد سأقول مفاجرة بكما . . . ”لقد عرفتكما في يوم من الأيام“ .

ولكن ”إينا“ التي لم يعجبها قولها هتفت قائلة : أنت في منتهى الغباء ! لما إذا لا تقبلين دعوة غمتي لك وترافقيني ؟ ولم تدفين نفسك في هذه البلدة العابسة ؟ هيا تعالى معنا وابحثي عن واحد من أصحاب الملايين .

وفي طريقنا إلى منزلنا قابلت ”بيتر“ وحدثته عن مطامع ”إينا“ وأحلام جنتز ، ولا ريب أنه استشعر مني حسداً لها فقال لي :

كان يجب أن ترافقيهما فانت أنشط وأذكى من جنفر كما أنك أجهل وأفتن من إينا .
فقلت له :

هناك ما يعنى من الرحيل ، فإن علاقتنا ليست علاقة خاطب بخطيبته ولكنهما صباه
نبتت مع الطفولة وترعرعت في الصبا وستدهر في مقبل الأيام .

فأجابني بتأثر : دودى ، أن كل ما يمكننى أن أمنحك إياه من الحياة هو أن تكونى
زوجة فلاح : سيكون ذلك شاقا عليك يا عزيزتى وربما لا تكون أغنياء أبداً ، فقلت : يكفينى
من الغنى والثروة سعادة كل منا بجانب الآخر .

كتبت إلى صديقتى كثيرا في بادئ الأمر وكانت رسائلهما مسهبة . حافلة بأخبار
المجتمع اللندنى وبالأشخاص الذين يقابلونهم إلى غير ذلك من الأشياء التى تحمها فتاة الريف
عندما يهرها وهج المدينة . وفي نهاية خطاباتها كانتا تسألانى عما اذا كنت غيرت رأى
أم مازلت مصرة عليه ؟

كنت في قريتي أسعد حالا في نظر نفسى فقد رجحت عدة صفقات من محال الأزياء
وبعض الأشغال البدوية الأخرى ، وكادت سعادتى تفوق أى سعادة في العالم عندما هرع
إلى بتريزف إلى بشرى ابتاعه إحدى المزارع الصغيرة وكان عقد الملكية يساوى في نظرى
أمن تيجان العالم ، فكيف بأمال "جنفر" ومطامع "إينا" .

تقدم بتر يطلب يدى فقبلنا وقلت له وأنا ألوح له بعقد المزرعة " سأتعلم كيف أحلب
بقرتنا و " فقال :

سوف لا تقومين بشيء من هذا أبدا ، سأؤدى أنا كل شيء ، وكل ما أرجوه عند
أوبتى من الحقل أن أجد فى انتظارى قلبا حنوننا يقدر جهدى ويسعى للتخفيف عنى .

وبعد شهر تلبثت على صوت الكاهن وحويلة ول لنا ساعة العقد " إلى أن يفرقنا الموت " ،
ولكنى كنت واثقة أن الموت نفسه لا يقوى على التفرقة بينى وبين بتر .

لم نجعل لرحلة شهر العسل أهمية من زواجنا ، فقد كانت كل أيامنا الأولى شهدا
لايتذوقه إلا السعداء القانعون ، وكان كل يوم يمر علينا سعادة جديدة فكان بتر يؤدى عمله
فى الحقل وكنت أنا أنعم عملى فى المنزل من طهى إلى تنظيف ، وإذا حان موعد أوبته
هرعت إلى النافذة أرقب طريقه ثم أهول لأستقبله ، وأنا بين كل هذا سعيدة كل السعادة .

وقالت جنفر : نعم يا دودى يجب أن تذهبي إلى لندن وهناك تنتهجين الطريق الذى
يحلوك فى الحياة ، فليس لزاما عليك أن تتزوجى المال فحسب .

لم أكرث لحديثهما أكثر من ذلك فقد سمعت صوت خطيبى ورفيق طفولتى "بتر"
فأسرعت إلى النافذة أشير له بيدى محمية وهو يتعمد بعزبته الصغيرة .

ولما عدت إلى مكاني رأيتهما يتبادلان النظرات وقد هزرت إحداهما رأسها، وأمنت الثانية على ذلك بهزات متتابعة من كنفها .

كانت نظراتهما واضحة المعنى مفهومة المعزى ، فهما ترشيان لحالي وضياح مستقبلتي ، فكدت أخرج عن طوري وهما يريان في هذا الرأي وصحت بهما :

— لست أريد مليونيرا ولست أطمع في شهرة ، إنني هنا في أوج السعادة ، فقالت إينا " أنتظارا لبيتر خطيبك عندما يقتنى ثروة تمكنه من زواجك ، وبعد ذلك تزوين معه في إحدى القرى حيث تتطلعين إلى ازدياد المحصول ليتمكنك الحصول على ثوب جديد .

وقالت جنفر :

— ليس من العدل في شيء أن تغالى من قيمة نفسك في نظر نفسك ونظر الناس أنت في شرح الشباب ونضارة الصبا ، والمستقبل يضمن لك عيشا أسعد من عيشك هنا ، وفي لندن ستقدمين إلى رجال أثرياء لاشك سيتمنون زواجك وإحاطتك بختلف ألوان السرور والرفاهية ، وليس هناك ما يرغمك على البقاء هنا ، كما أنك لست من الفتيات اللاتي يقعن في شرك الحب حتى تتعلقن بالبقاء منتظرة مستقبل بيتر المجهول .

عندئذ تطلعت إلى الخاتم البسيط الذي أهدانيه خطيبى بيتر ، فأعاد إلى ذاكرتي صورته المبهذة النقية المخلصة فقلت في هدوء :

لواجتمع زين الرجال في صعيد واحد ، هم وأموالهم وآمالهم لأعرضت عنهم ومضيت أفقش عن خطيبى الطيب القلب بيتر . فلا فائدة من استمالة رأسى ، فلن يمكن لأى قوة في العالم أن تغير رأيي ، لننتقل إلى موضوع آخر فمن العيب الاستمرار في موضوعنا هذا . ثم أدركنا دفعة الحديث في شتى الموضوعات ، وانصرفنا بسلام ، بعد ذلك لم تمكنا بالقرية طويلا فقد رحلنا بعد أسبوع إلى لندن وقد ودعتهما إلى محطة القطار ، وبعد أن تحركت صاحت " إينا " :

— اذا غيرت رأيك فسنكون بانتظارك على الرحب والسعة .

وبعد مدة قصيرة قرأت نيا زواج " إينا " من المليونير " دنس بارون " وقد نشرت الصحف صورتها ، وقد أرسلت لى إينا رسالة من الريفيرا حيث تقضى شهر العسل .

أما جنفر فإن جمالها وفتنتها ومقدرتها قد جعلت لها مكانة مسرحية تليء بحمد عظيم ومستقبل زاهر .

ظلت الصديقتان تكتبان لى بعد ذلك في فترات متباعدة ، عن أخبارهما ، فإينا تحدثنى عن حفلاتها ومعارفها وأصدقائها وجنفر عن عظمتها ومجدها وروايتها الجديدة ، أما أنا فقد أضاع الخفاف المحصول الأول الذى كنا نرجوه ، وقد حركت هذه العوامل في نفسى شعور الحسد والكراهة لزميتى إرغما عنى ، والظاهر أن هذا الشعور طبيعى في البشر ذوى الطبيعة

الطليية . أما بيتر فكان يعمل بجهد ونشاط ، وكان نجيلا منى في أشد حالات الارتباك والضيق المحصول ، ولكن ماذا يمكنه أن يفعل !!

وفي مساء يوم شديد الحرارة بينما كانا تترقب لفحات النسيم في الحديقة قال لى بيتر : كنت أتمنى أن أوفر لك الراحة والسعادة ، ولكن هذا الحفاف أفسد على ممتناى . . ولكن الحزن عقد لسانى فلم انطق بفت شفة كما يقولون ، وبعد برهة قلت له "لانياس يا عزيزى ، يجب أن ننتظر ونأمل خيرا فى العام المقبل".

ولكن الشتاء التالى أتى ومعه برده القارس ، ونالجه المتساقط الذى يهرأ للإبدان ويقلص الأطراف ، الريح تعصف والطبيعة تشور ، والعواصف ترأر حول منزلنا كالحيوان الهائج ، وليس عندنا ما يقينا شر البرد ، ولا ما يقينا مطالب البدن .

وكان بيتر لا يفنا يتحدث عن المستقبل وآماله فيه وما ينتظره على يديه ، وكنت وهو يحدثنى بآماله أو أوهامه أنظر بعزى للخطاين اللذين وصلانى من جنفر وإينا ، فالأولى تحدث فيه عن فروها الجديد . والآخرى عن مجددا التليد .

أطبقت شفتى خوفا من أن أنبس بشىء أندم عايه فى المستقبل وقلت لنفسى وأنا حزينة يائسة :

سيكون العام القادم أحسن من سابقه ولا شك .

ولكن جاء العام القادم وتكررت معه مأساة سابقه ، وحاولت أن أنجمل كالماضى فلم أستطع وعجزت عن المقاومة ، وكذا فى المطبخ وهو الغرفة الدافئة نوعا فى الدار فقلت لبيتر بقاء وبلا مقدمة :

« بيتر ... سأذهب إلى « لندن » ... وساد صمت رهيب قطعه بقولى : لقد دعنى « إينا » ... ويجب أن أذهب » .

كانت نغمة اليأس التى تشيع فى صوتى أدهشتنى ، فأمسكت ، أما بيتر فقد نظر إلى بدهشة ، وقد سقطت من يده المجلة الزراعية التى كان يطالعها ، وأبيض وجهه حتى كاد يحاكى وجوه الموتى ؛ لكنه ظل صامتا . فقلت :

« إننى آسفة » ... قلها وأنا أكاد أختنق « لقد حاولت ... وانتظرت ... وتجنبت ولكن بلا جدوى ... فالحال هو هو ... والحظ هو هو ... وكرت أعوام ثلاثة لم يتخرج الحظ عن موقفه قيد أنملة ... فعجزت عن المقاومة ... وسمت الوحدة والعزلة ، وأريد أن أتمتع بالحياة الحقيقية الحياة الحافلة بالمسرات النابضة بالمرح واللاهو . أريد أن أرى السهرات الليلية والرقص حتى الفجر ، أريد الملابس الحريرية الزاهية والجواهر الساطعة والقرء الثمين الدافى ... أريد كل هذا ولست أريد أن أفكر فى إصلاح السقف وانتهاء الوقود ونفاد المسلى و و و الخ من هموم الحياة ... إننى أريد تلك الحياة ... أريد الحياة الحقيقية ... » وساد

الصمت بيننا، وكان يفرجنا عنه صوت نيران الموقد وهي تخرج السنة من اللهب تراقص كالشياطين والأبالسة ... فتخيلت المواقد الكهروباية ، والتلاجات الفخمة والعصريات الفارحة التي تسير في الشوارع فتخطف ببريقها وسرعتها الأبصار، بدلا من تلك التي تتعب أكثر مما تريح . ونحن كلما دبرنا شيئا من المال نجد أن أمامنا بقرة مريضة تحتاج إلى الطبيب والدواء أو نجد الخزن في احتياج إلى إصلاح أو نجد الجليد ينهر ليلا فيفسد علينا العمل المتواصل في الزراعة منذ شهور عديدة” .

كان بيتر ينظر إلى بعيتين يائستين وهو صامت فلم يتمكن من تحمل هذه النظرة فذهبت إلى النافذة وهناك رفعت عيني على تلك المزرعة الجذباء من تأثير البرد القارس وتذكرت كيف يظل بيتر منهمكا في الزراعة أثناء الربيع حتى تخور قواه ثم يكون المحصول كما كان في الأعوام السابقة فتلاشي كل الأمان والآمال العذبة التي كانت تداعب خيالي . قال بيتر وقد وقف بجانبى ووضع ذراعه حول وسطى ”دودي“ إنى أعرف يا عزيزتى ما أنت فيه من الشقاء ولكن لا تذهبي فكل شيء سينتد .

— هذا ما كنت تقوله دائما ... بيتر تعال معى إلى لندن وهناك نجد عملا يدر علينا شيئا من المال .

— إنك تعلمين أن هذا هو المستحيل فإنى لا أجيد شيئا سوى الزراعة وبجانب ذلك ليس من السهل أن أجد عملا هناك . أما هنا فعلى الأقل لنا منزلنا ولنا ما يكفيننا من الطعام .
— لنا منزلنا الذى تتجمد فيه من شدة البرد ونحترق من الحر . علام يجب العيش هنا أنظر إلى إنى فى الثانية والعشرين وكأنى قد بلغت المائة .

بيتر إننا سنقتل انفسنا فى مزرعتك العزيزة .

— ولكن حظنا سيتغير يا دودي .

إنى أعلم أنه لا يمكننى أن أقاوم نبرات صوته أو لمس يده ولذلك ابتعدت عنه قائلة سأذهب فالتقود التي أخذتها من والدتى والذى فى رأس السنة كافية لأن أذهب إلى لندن .

ولكن أجرة العودة ؟

سوف لا أحضر ثانية ...

ولكنى ندمت على ذلك فلم أكن أقصد معنى هذه الكلمات ولم أكن أتعهد النطق بها ولكنها اندفعت من فمى دون أن أشعر وذلك بدافع السين التي صرت فى ضحك وعناء .
وقلت متابة ”سأجد عملا فى لندن فإن لم تلتزم الفرصة معى فسنألفا بمفردى فأى عمل خير من المكث هنا . .

وكان يبدو عليه كأنه طعن طعنة نجلاء، وقد أحبت أن أرتمى بين ذراعيه وأسأله المغفرة ولكنى تفوهت بما لا يحق لى أن أنطق به فمزيت نفسى بقولى إنه قاس وإنه يحب لنفسه . ولو كان يشعر بشيء من الحب نحوى لعمل على إخراجى من هذه المزرعة .

إذن إذن هذه هي النهاية يا دودي ؟

نعم إذا كنت لا زلت متمسكا بمزرعتك . ولم أكن أسمع سوى صوت الرياح وضربات قلبي حتى قال بيتر :

”حسنًا . وأنا ليس لي الحق في أن أسألك وأطلب إليك المكث هنا إذا كنت قد كرهتني . ولكن تذكر شيئا واحدا وهو أني سأحبك دائما“ .

”إنني أحبك أكثر مما تتصور يا بيتر ولكننا أومكثنا هنا فلا شك أنه سيكون كل من الآخر“ ...

إنني لن أكرهك أبدا وقد علمت الآن أنه ما كان لي أن أتمسك بك . وبالرغم من ذلك . عندي قليل من النقود ربما تحتاجين إليها هناك ... كلا ... لا تجادلي (قال ذلك لأنه يعلم أنه قد اقتصد شيئا من المال لشراء بدله جديدة هو في حاجة إليها) هذا آخر ما يمكنني عمله وإنك أنت ولا شك تريدن أن تحزمي أمتعتك .

ووصلت في قطار الصباح الى لندن وفي الدقيقة التي تحرك فيها القطار رأيت بيتر واقفا وحده فهزنتي رغشة من الخوف وتخيلت الحياة من غيره وحرمانى من جلساته الهادئة ولكني عدت أتذكر سقوط الجليد فرأيت أنه من الواجب والصواب أن أرحل بعيدا قبل أن أكت شعوري ونطقت كلمة الوداع .

لم يسبق لي أن قمت برحلة طويلة كهذه ، ومع ذلك كنت قد أرسلت تلفرافا الى إينا التي انتظرتني على المحطة .

نادتني بعد أن طرحت فراءها الفانحر حول كتفي . عزيزتي . إني سعيدة بأن أراك ثانية ... ثم قالت وهي تلفت الى سائق عربتها : لورنج خذ حقائب مدام . برادنجج .

معى فقط هذه الحقبة . رفعت إينا حاجبها في دهشة ولكني لم أحفل بذلك فقد كنت في غيبوبة حيث أجد نفسي في لندن . وفي منزل إينا خصصت لي حجرة بها أثاث فانحر أغراني بأن أرتدى على أحد كراسيها المريحة وأنا في دهشة أقبل بصرى بين ستائر النوافذ الفاخرة الموشاة بالذهب وذلك السجاد المصنوع من الصوف الأبيض وهذا السرير العظيم الذي لا تتسع له حجرتي الصغيرة في منزل الصغير . قطعت على إينا نظراتي بقولها . إن أول شيء تعمله الآن هو أن نستدعى سلتين تعنى بشعرك وجلدك وأظافرك . حقيقة يا دودي لقد أسأت معاملة نفسك .

لم أغضب لصراحتها ولكنني قلت في هدوء ”ليس في المزرعة متسع من الوقت للتجميل“ .

”مسكينة يا دودي . لا بد أن الحياة هناك كانت لا تطاق“ .

”بل العكس يا عزيزتي إنها أوقات جميلة هائلة تلك التي كنت أترى فيها مع بيتر على شاطئ البحيرة وعندما نعود الى المنزل على عربة التبن تحت أشعة النجوم الساطعة“ .

”متقضين أوقاتا جميلة هنا ، وستكونين في ضياقي مدة طويلة قبل أن تبشئ عن العمل الذي تقولين عنه“ .

”اتكأت على الوسادة اللينة وقلت لها : وهكذا تحقق حلمك فهل أنت في منتهى السعادة يا إينا“ .
”طبعاً سعيدة والآن سأتصل بالثلفون بصديقتائى كى يحضرن الليلة“ .
”جنفراً أيضاً“ .

”نعم ولكن من بعد انتهاء عملها فى المسرح . ولكن ربما لا تسمرين منها الآن فقد تغيرت بعض الشئ“ .

وانقضى عصر ذلك اليوم فيما قامت به سلتين من الاعتناء بى واستعمال الكريم والروائح . ولكن لم يكن عندى ملابس مناسبة أحضر بها الحفلة . فأعارتنى إينا بعض ملابسها . وبعد أن انتهت سلتين من عملها وقفت أمام المرأة فى دهشة عظيمة فمقد بدا شعرى اللامع الموج مسدولاً على كتفى . والثوب القرمزى قد جعل منى تحفة نادرة . وكان فى عيني بريق عجيب وعلى شفتي ابتسامة هادئة . أما إينا فقد نظرت نظرة ذات معنى وقالت فلتنزل الآن فإن دانس يريد مقابلتك . كان دانس بادناً أسمر اللون طويل القامة وقد بدت عليه علامات المدوء وغمرنى بنظرة غريبة لم أفهم معناها .

”أهذه هى صديقتك الريفية ؟“ قال ذلك وقد أمسك يدى مدة أطول من اللازم .
”لم تقولى لى يا إينا انها جميلة إلى هذا الحد“ .

اقرب منى الرجال الآخرون وإنى أعلم أن النساء قد كرهننى . ولكننى كنت فى شعور آخر تحت تأثير ما كان يهمس فى أذنى من كلمات أثناء الرقص . وقد رقص دانس معى عدة مرات حتى بدأت أسترق النظر إلى إينا التى كانت منسجمة مع رجل آخر ولكن نظرها كان متوجهاً إلىنا فى كل لحظة فقال دانس . انك لازلت طفلة رعيدة . . . لا تعينى إينا فانى لا أهتم بها وقبل أن أجد إجابة لذلك رأيت جنفراً وقد رفعت رأسها عالياً وكانت ملابسها الموشاة بالذهب تلمع تحت ضوء البهو وأخذت تخطو كأنها أميرة صغيرة . قالت بصوتها المرسىقى التبرات ”دودى“ . وأخيراً حضرت إلى لندن ؟ إبنى كنت واقفة من أنه سوف لا يمكنك البقاء فى المزرعة“ .

لقد كنت مشتاقة لحديث طويل مع إينا وجنفراً ولكننى لم أتمكن من ذلك فى هذه الليلة فقد كانتا محاطتين بالرجال وكذلك أنا لم أحرم من الأصدقاء . فكم هو رائع أن أشعر بالمرح والمرور والشباب مرة أخرى .

مرت الأيام فى المسارح والنوادر الليلية وحفلات الرقص حتى الفجر والأضواء والموسيقى والملابس الفاخرة فلا عناء فى التفكير فى مخازن القلال أو كمية الفصح بل مريح وتمتع للنفس .

”إنك كالطفلة فى حفلة عيد الميلاد“ . هذا ما قاله لى فى الشرفة بينما كان الآخرون يرقصون داخل البهو فى منزل أحد الأصدقاء وكان قد سارنى إلى هذه الشرفة ليربى أنوار لندن .
”إن عندك من الوقت ما يجب أن تنتهى به . ألا تعرفين أنه من الواجب أن تأهلى فى كل شئ“ .

”ليس لي أن أمل في شيء أكثر من ذلك . إني أقضي وقتنا سعيدا هنا وكل شخص أأماي في غاية الظرف“ .

”إن من الواجب أن يكون الانسان ظريفا معك يادودي“ .

كان وجهه قريبا من وجهي حتى أني شمعت رائحة الوسكى منه فأدريت وجهي بعيدا عنه ولكنه أمسك بذقني ودفع وجهي نحوه . ”إنك رائعة يادودي . سوف لا تفودين إلي ذلك الفلاح وسوف لا أدعك تبحثين عن عمل هنا . كم أحب أن يكون في منزلي فتاة جميلة ذات عين في جمال عينك“ .

”دانس . لا تقل ذلك“ . وحاولت أن أضحك ”إنك طبعيا لست جادا في حديثك . أظن أنه يجب أن أدخل الآن . . .“

كانت ذراعا حولي فنظرت إلى وجهه ولحت البريق الغريب في عينيه والتصقت شفثاه بشفتي في عنف بغيض ولم يمكنني أن أتحرك مدة وجيزة تمكنت بعدها من أن أدفعه بكل ما أوتيت من قوة وأن أصرخ فيه . كيف تجرؤ على ذلك إن إينا صديقتي .

” لا توهمي الناس أنك جميلة وبريئة“ ثم قال ضاحكا وفي عينه نظرة مخيفة . ”لقد تركت زوجك . أليس كذلك ؟ حسنا وبعد هذا لا تكلميني أنا عن الاخلاص“ .

ثم حاول أن يجذبني إليه بوحشية مخيفة وهو يقول ”أحببتك أيها العسة بعد ما كرهت إينا الضعيفة الخائرة“ .

إينا الضعيفة الخائرة قال هذه الكلمات بصوت جنوني مرتفع قطع عليه كلامه فقد وجد إينا أمامنا وكان وجهها ممتقعا وعيناها غائرتين وفي يدها مسدس أشارت به إلى قلب دانس . لقد قاومت بقدر ما أمكنني .

هست إينا قائلة ”كنت مصممة ألا أهتم بك بينما كان كل أصدقائنا يسخرون مني ويشفقون لحالي“ .

قال دانس وقد جهد في مكانه من شدة الفزع .

”إينا . أخفضي هذا المسدس“ .

”لقد كنت في منتهى الغباء . في منتهى الغباء !! هذا ما كنت تعمله منذ زواجنا ولكني سوف لا أدعك تستمر في ذلك فإني سأقتلك ثم أقتل نفسي . إنك خائف من أن تموت . أليس كذلك ؟ أما أنا فلمست خائفة وسأموت على أي حال وقد أمتني أنت منذ ثلاث سنوات“ .

وقد لاحظت عليها أنها منتفضة مهمتها فقد تسبنتني هذه اللحظة ثم ضغطت أصبعها على الزناد فارتيمت عليها وخرجت الرصاصة حينما دفعت يدها إلى أسفل فأصاب المقذوف أرض الشرفة . ثم حملت إينا إلى وإلى دانس وإلى المسدس الذي كان لا يزال يدخن في يدها

ثم ارتمت على الأرض وحينئذ ظننت أن الناس سيخرجون على صوت الطاقة ولكن الموسيقى والضجج كانت حائلا بين سماعهم لصوت المقدوف .

وهزتي رعشة قوية فإني هذه هي الحياة التي طالما أردت أن أعيشها حياة المرح والسرور ولكنها تحوى في أعماقها أشياء مفزعة كالبحيرة الجميلة ذات القاع المليء بالطغى والأشواك . ولما انحنى دانس ليرفع إينا تسالت إلى الخارج ثم ذهبت إلى حجرتي في منزل إينا وجسمي يرتعش فأخذت حقيقتي وذهبت إلى جنفر .

”قالت متعجبة حينئذ رأتني . دودي إنك شاحبة كالأموات . ما ذا جرى ؟“
قلت : جنفر أيمكنني أن أبليت معك ؟
”بكل تأكيد“ .

لم تسألني أسئلة أخرى ولكنها وضعتني في الفراش كأني طفلة صغيرة ثم سمعتها تتحدث ضيفها وسمعتها يحثج ولكنه رحل أخيرا .

”والآن لماذا كل هذا“ . قالت ذلك وقد جلست بجانبى على السرير بينما كنت أشرب ما أحضرته لى من اللبن الساخن .
”لا يمكنني أن أقول لك“ .

إذن فهو دانس . إني أعرف أن هذا كان سيحصل حتما . لقد كانت إينا غنية لزواجها منه فقد كانت تعرف سمعته ولكن كان مقدرا أن تكون غنية وأن تظهر في الأوساط الاجتماعية ولكنها الآن تدفع ثمن تحقيق حلمها ثم أخذت من يدي الفئجان الفارغ ووضعتهم على المائدة بجانب السرير ، وكانت على هذه المائدة صورة رجل في مقبل العمر يبدو عليه سيماء الثراء فاحر وجهه جنفر حين رأتني أنظر إلى الصورة ولكنها لم تعقب على ذلك .

أتذكرين ذلك اليوم الذي كنا نتحدث فيه عن مستقبلنا في منزلك . لقد حصلت إينا على رجل غنى ونلت أنا الشهرة . وتزوجت أنت بيترو وانظري إينا الآن .
قلت وأنا أنظر إلى الصورة ولكن !

هذا ما أعنى لقد أحببت ميشيل ولكنه كان فقيرا وليس له أى تأثير في المسرح وكانت لي الموهبة ولكنها ليست كافية لتظهر في الألق إلا بعد عدة أعوام ولكني أردت أن يتحقق حلمي سريعا فلذا تركت ميشيل وأسلمت نفسي إلى جون ، وهذا هو السبب في أنى بانقت القمة في هذا الوقت القصير .

أوه جنفر !

كانت في أثناء حديثها بأئسة كفناء فقدت أعز شئ لديها . ولكن حينما تنبت لصوتى تغير لونها وكساه قناع الكبرياء الزائف وستار التصنع الذي كانت تلبسه دائما لتخفى حقيقتها .

”لقد دفعنا ثمننا باهظا لتحقيق أحلامنا فقد ضحيت أنا وإينا باحترامنا أمام الناس . أما أنت فتسدعين ثمن حالمك التعب في المزرعة ومع ذلك تظنين أنه ثمن باهظ . إنك لست سوى غثية صغيرة“ .

دفنت وجهي بين يدي وانهمرت الدموع من عيني فأحاطني جنفر بذراعيها وبعد برهة انقشع قناعها وقالت . ”عودي الى بيترواشكري الله أن جعل لك من تذهبين اليه . إينا لم تحب أحدا حقيقة أما ميشيل فقد وجد أخرى . ولكن لا بد أن نستمر في الطريق الذي اخترناه وكذلك أنت ولكن يادودي ... إن طريقك أحسن من طريقنا“ .

”ربما ... أوه جنفر ... ربما وجد بيترو كذلك فتاة أخرى“ .
”لماذا لا ترحلين في قطار الصباح . ولكن تذكرى أن أى مشقة هناك لا تعتبر تعباً فاعمل حتى تموتى . قالت ذلك بمرارة ويأس .

ودعنى جنفر في قطار الصباح وسافرت الى وستورلاند وكنت أنا في القطار أفكر فيما أفعله إذا أغرض بيتر عني . ولما وصلت وجدت بيترو وفي عينه بريق الحب والأمل .
قال وقد أخذنى في لطف بين ذراعيه . أوه دودي جنفر أرسلت لى تلغرافا أنك ستحضرين . . . ولكنى لم أكد أصدق . عزيزتى لقد حرمت منك طويلا .
”أوه بيترو . ساعنى لقد كنت غثية“ .

بل أنا الغي سابع المزرعة ونذهب الى لندن .
لا يمكنك هنا في مزرعتنا . فلن تهتمنا الصعوبات ولا تهتمنا الحرارة ولا البرودة ولا الحشرات وإن كان كل ذلك فأمامنا أعوام أخرى ولا يمكن أن نفصل ما دام كل منا يريد الآخر .

نظر الى كأنه قد فتحت أمامه أبواب الجنة وشعرت أنا بالعظمة والسعادة معه فقلت .
فلندع اسم إينا ينشر في أعمدة الاجتماعات . ولندع اسم جنفر يكتب بالأوار الكهروبايئة .
أما أنا فاسمى محفور على قلب الرجل الذى أحبه .

تم طبع هذه المجلة بالمطبعة الأميرية ببولاق
في يوم السبت ١١ رمضان سنة ١٣٦٢
(الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٣) م
مدير المطبعة الأميرية

محمد كبرى